الذكاء الدعوي

مفهومه، وآثاره، وتطبيقاته

أ. د. السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

الأستاذ في كلية الشريعة، بجامعة القصيم

والأستاذ المساعد في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، بجامعة الأزهر

AL.IBRAHIM@qu.edu.sa

ملخص البحث:

يعد الذكاء من الصفات اللازمة للدعاة، والمتأمل في مسيرة الأنبياء والرسل الدعوية سيلحظ أنهم كانوا يتمتعون بأعلى مراتب الفطانة والذكاء، ويهدف هذ البحث إلى التعرف على مفهوم "الذكاء الدعوي"، وبيان أهميته ووسائل تحصيله، ذلك أن الداعية لا غنى له عن قدرٍ معقولٍ من الذكاء الدعوي، يعينه على فهم الرسالة الدعوية، ويساعده على التواصل الفعال مع الناس. وقد خلص الباحث إلى نتائج عدة من أهمها: أن الذكاء منه ما هو فطري، ومنه ما هو مكتسب، وأن الوسائل لتحصيل الذكاء الدعوي وتنميته كثيرة، منها: الإعداد الجيد للدعاة، وبث روح التفكير وإعمال العقل، والعلم والخبرة، ومصاحبة الحكماء والتتلمذ على أيدي الدعاة الفطناء، وأن الذكاء الدعوي له آثار عظيمة، منها: الحكمة، والبصيرة النافذة، والفِراسة الصادقة، والإبداع، وتتجلى تطبيقات الذكاء الدعوي في مجالات عدة، منها: النباهة والنجابة في تحصيل العلم والحفظ، وحضور البديهة وحسن التصرف في المواقف الطارئة، والتمكن والنبوغ في الحوار والمناظرة، وضبط الفتوى وتسديدها في النوازل، وكشف مخططات الأعداء والقدرة على مواجهتها.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الدعوي، الداعية، الفطنة، الحكمة، البصيرة، الفِراسة، الإبداع.

الذكاء الدعوي: مفهومه، وآثاره، وتطبيقاته

أ. د. السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

Missionary (Daʿwaī) Intelligence:

Its Concept, Effects, and Applications

Prof. Al-Saʿīd Shaʿban al-Dusuqi Ibrahim
Professor at the *Sharīʿah College*, Qassim University
Assistant Professor at the College of *Uṣūl al-Dīn* and *Daʿwah* in al-Manṣūrah, Al-Azhar University

AL.IBRAHIM@qu.edu.sa

Abstract:

Intelligence is considered one of the essential qualities of Duʿāt. A reflection on the Daʿwah missions of the prophets and messengers [of Allah] reveals that they possessed the highest levels of acumen and insight. This study aims to clarify the concept of "Missionary (Daʿwaī) Intelligence," explain its significance, and outline the means of acquiring it. A Dāʿiyah cannot dispense with a sufficient measure of missionary (Daʿwaī) intelligence, as it enables him to understand the Daʿwah message and to communicate effectively with people. The researcher arrived at several conclusions, the most important of which are: that there are two types of intelligence — one innate and one acquired; and that there are numerous methods for developing missionary (Daʿwaī) intelligence, including proper preparation of Duʿāt, cultivating reflective thinking and sound reasoning, gaining knowledge and experience, accompanying the wise, and studying under perceptive Duʿāt. Missionary (Daʿwaī) intelligence also yields significant effects, such as wisdom, deep insight, Firāsah, and creativity. Its applications appear in several areas, including excellence in acquiring knowledge and memorization, quick-wittedness and appropriate conduct in emergencies, mastery in dialogue and debate, precision and sound judgment in issuing Fatwās on emerging issues (Nawāzil), and the ability to uncover and respond to the schemes of adversaries.

Key Words: Missionary (Daʿwaī) intelligence, Dāʿiyah, acumen, wisdom, deep insight, Firāsah, creativity.

الذكاء الدعوي: مفهومه، وآثاره، وتطبيقاته

أ. د. السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمامِ الدعاة وخيرِ المرسلين، سيدِنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه واقتدى بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين. **أما بعد:**

كثيرةٌ هي الدراسات التي تناولت صفات الداعية ومقومات نجاحه بالسرد والبيان، أو بالتحليل وإبراز المعالم، غير أن جُلَّ هذه الدراسات قد أغفلت صفة مهمة جدًّا من صفات الداعية، وهي صفة الفطنة والذكاء التي تعد من ألزم صفات الداعية، ولا عجب فقد عدها العلماء ضمن الصفات الأربع الواجبة لأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي: (الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة)، والمتأمل في مسيرة الأنبياء والرسل الدعوية سيلحظ – بلا شك – أنهم كانوا يتمتعون بأعلى مراتب الفطانة والذكاء، وهو ما ساعدهم على التميز في دعوتهم، والتفوق في تبليغ رسالتهم، والنبوغ في القيام بمهمتهم.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

ونظرا لأهمية هذا الموضوع، فقد استعنت بالله وعزمت على الكتابة فيه لأسباب عدة، منها:

١. قلة البحوث التي تناولت هذا الموضوع، مقارنةً بالبحوث الأخرى التي تناولت صفات الداعية ومقومات نجاحه.

٢. قد يكون الداعية من ذوي الكفاءات العلمية والمعرفة الأكاديمية المتخصصة، إلا أنه يفتقر إلى الذكاء الذي يجعله ناجحًا في دعوته.

٣. أن الداعية إذا تصدر للدعوة وهو مفتقر إلى الذكاء والفطنة، فحتمًا سيجانبه التوفيق في كثير من خطواته، فيضر من حيث أراد النفع، ويفسد من حيث أراد الإصلاح.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١. التأكيد على أهمية الذكاء والفطنة في حياة الدعاة عامة، وفي ميدان الدعوة على وجه الخصوص.

٢. بيان أثر ذكاء الداعية وفطنته في عملية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

٣. استخلاص بعض تطبيقات الذكاء التي تفيد الداعية في عمله الدعوي.

مشكلة الدراسة:

يحاول الباحث إبراز قيمة الذكاء الدعوي، ومدى الحاجة إليه، لا سيما في هذه الأيام التي تواجه فيها الدعوة تحديات كبيرة، من أهمها: معاناة حقل الدعوة من ويلات الحُمق والبلادة التي يتسم بها البعض، وتبرز مشكلة الدراسة من خلال عدة تساؤلات يحاول الباحث الإجابة عليها، وهي:

١. ما مفهوم الذكاء الدعوي؟ وما أهميته؟ وما وسائل تحصيله؟

٢. ما أهم آثار الذكاء الدعوي وثمراته؟

٣. ما أهم تطبيقات الذكاء الدعوي في ميدان الدعوة إلى الله ﷻ؟

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسات سابقة مستقلة في موضوع " الذكاء الدعوي، وسبل تحصيله، وآثاره، وتطبيقاته"، رغم كثرة المؤلفات حول العديد من صفات الداعية ومقومات نجاحه، وقد اشتملت كتب علم النفس ونحوها على بعض القضايا ذات الصلة بالذكاء وأنواعه، فاستفدت منها، وجمعت الآيات والأحاديث ذات العلاقة بالموضوع، واجتهدت في الوصول إلى ما كتبه علماء الدعوة بين ثنايا السطور، واستخلصت من كل ذلك بعض آثار الذكاء وتطبيقاته في ميدان الدعوة إلى الله ﷻ.

حدود البحث:

اقتصر الباحث في موضوع "الذكاء الدعوي ووسائل تحصيله وآثاره وتطبيقاته" على ما له علاقة بالداعية، دون بقية أركان الدعوة الأخرى.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج التحليلي بمكوناته ومنها: (التفسير، والاستنباط) [(١)]، فهو يجمع الآيات والأحاديث ومواقف السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وأقوال السلف ذات الصلة بالذكاء الدعوي، ويلقي الضوء عليها بأسلوب علمي يقوم على التفسير والتحليل؛ لاستخلاص آثار الذكاء الدعوي وثمراته، واستنباط بعض تطبيقات الذكاء الدعوي التي تفيد الدعاة في التعامل مع المدعوين في المواقف المختلفة.

خطة البحث: اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

- **المقدمة:** وقد تضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلة البحث والتساؤلات المطروحة، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.
- **التمهيد: مدخل إلى الذكاء الدعوي:** وقد تضمن تعريف الذكاء، والألفاظ ذات الصلة به، وأنواع الذكاء، والمراد بالذكاء الدعوي.
- **المبحث الأول: أهمية الذكاء الدعوي ووسائل تحصيله:** وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الذكاء الدعوي.

المطلب الثاني: الذكاء الدعوي بين الموهبة والاكتساب.

(١) راجع بالتفصيل: أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د. فريد الأنصاري، ص ٩٦ وما بعدها، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، المغرب، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

المطلب الثالث: وسائل تحصيل الذكاء الدعوي وتنميته:

- **المبحث الثاني: آثار الذكاء الدعوي وثمراته:** وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحكمة.

المطلب الثاني: البصيرة النافذة.

المطلب الثالث: الفِراسة الصادقة.

المطلب الرابع: الإبداع.

- **المبحث الثالث: بعض تطبيقات الذكاء الدعوي:** وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: النباهة والنجابة في تحصيل العلم والحفظ.

المطلب الثاني: حضور البديهة وحسن التصرف في المواقف الطارئة.

المطلب الثالث: التمكن والنبوغ في الحوار والمناظرة.

المطلب الرابع: ضبط الفتوى وتسديدها في النوازل.

المطلب الخامس: كشف مخططات الأعداء والقدرة على مواجهتها.

الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج وأهم التوصيات.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا البحث نافعًا لي ولإخواني الدعاة، وأن يغفر لي ما شطَّ به القلم أو ذلَّ به الفكر، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أ. د. السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

التمهيد

مدخل إلى الذكاء الدعوي

بدايةً ينبغي التعرف على مدلول الذكاء، والألفاظ ذات الصلة به، وأنواعه، وإلقاء الضوء على مفهوم الدعوة، حتى يمكن التعرف على مصطلح "الذكاء الدعوي".

أولا: مفهوم الذكاء:

الذكاء: مشتق من الفعل (ذَكَى)، الذال والكاف والحرف المعتل أصلٌ واحد يدل على حدَّةٍ في الشيء ونفاذ، ومنه ذكَت الحرب: اتَّقَدَت، والذكاء: سرعة الفطنة، يقال: فيه ذكاءٌ: أي فطنة وتوقُّد، وأصل الذكاء في اللغة: إتمام الشيء، ويقال: ذكَى فلان: أي حظي بالذكاء لِكَثْرَة رياضته وتجاربه، وضده البلادة، يقال: رجلٌ بليدٌ، إذا لم يكن ذكيًا [٢]، والبلادة: ضعف الفكر في الأشياء العمليّة التي تتعلق بحسن التدبير وجودة المعاش ومخالطة الناس والمعاملة معهم [٣]، ويدور معنى "الذكاء" في اللغة حول سرعة الفهم وتمامه وحدَّته.

وقد تعددت تعريفات "الذكاء" في الاصطلاح، وذلك لتعدد زاوية النظر، ومن هذه التعريفات: تعريف "معجم اللغة العربية المعاصرة"، فقد عرف الذكاء بأنه «قدرة على التحليل، والتركيب، والتمييز، والاختيار، والتكيُّف إزاء المواقف المختلفة» [٤].

وعرفه آخرون بأنه: «القدرة على التكيف، ومواجهة المواقف الجديدة بنجاح» [٥].

---

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٥٧/٢، ولسان العرب لابن منظور ٢٨٧/١٤، وأساس البلاغة للزمخشري ٣١٥/١، والمعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣١٤/١.

(٣) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد أعلى التهانوي ٧١٥/١، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط الأولى ١٩٩٦م، تحقيق: د. علي دحروج، وترجمة: د. عبد الله الخالدي.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر ٨١٨/١، عالم الكتب، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٥) مستفاد من: علم النفس التربوي: د. فادية كامل حمام، ص ٢٨٤، ٢٨٥، دار الزهراء – الرياض، طبعة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

ألفاظ ذات صلة بالذكاء:

ثمة ألفاظ تتشابك مع "الذكاء" وتشترك معه في بعض المعاني، حتى ليظن أن بينهما ترادفًا، وقد تكون الفروق بينهما دقيقة، ومن أهمها: لفظ "الفطنة"، ويلزم تعريفها لإدراك العلاقة بينها وبين الذكاء.

الفطنة: فِعلُها فَطِنَ، الفاء والطاء والنون كلمة واحدة تدل على ذكاءٍ وعلمٍ بشيء، وهي تعني: الحِذق والفهم، والفطانة: قوة استعداد الذهن لإدراك ما يَرِد عليه (٦).

وقد عرفت "الفطنة" في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها: تعريف الجرجاني بأنها: ((قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة، مُعدَّة لاكتساب العلوم)) (٧).

والفطانة أعلى منزلةً من الذكاء، ولذلك كانت صفة لازمة من صفات الأنبياء (٨).

ووفقًا للمدلول اللغوي للكلمتين، فكلاهما يطلق ويراد به الآخر، وفي ميدان الدعوة لا يوجد فرق كبير بين ذكاء الداعية وفطنته، فكلاهما بمعنى واحد، ولذا سوف أستخدمهما في البحث دون تفريق بينهما.

وقد ذكر الكفويُّ لفظي "الذكاء" و "الفطنة"، وعدَّهما ضمن مراتب وصول العلم إلى النفس فقال: ((وَاعْلَم أن أول مَرَاتِب وُصُول العلم إِلَى النَّفْس: **الشُّعُور**، ثم **الإدراك**، ثم **الحِفْظ**: وهو استحكام المعقول في العقل، ثم **التَّذَكُّر**: وهو محاولة النَّفْس استرجاع ما زَالَ من المعلومات، ثم **الذِّكْر**: وهو رُجُوع الصُّورَة المطلوبة إلى الذهن، ثم **الفَهْم**: وهو التعلُّق غالبًا بلفظ من مُخاطبك، ثم **الفِقْه**: وهو العلم بغرض المخاطَب من خطابه، ثم **الدِّرَايَة**: وهو المعرفة الحاصِلَة بعد تردد مقدمات، ثم **اليَقِين**: وهو أن تعلم الشيءَ ولا تتخيل خلافَه، ثم **الذِّهْن**: وهو قوة استعدادها لكسب العلوم غير الحَاصِلَة، ثم **الفِكْر**: وهو الانتِقَال من المطالب إلى المبادئ، ورجوعها من المبادئ إلى المطالب،

---

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٥١٠، والمعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢/٦٩٥.

(٧) التعريفات: الشريف الجرجاني، ص ١٠٨، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٨) طرق البحث في الدراسات الإسلامية: د. محمد رواس قلعه جي، ص ٨، دار النفائس – بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

ثم **الحدس**: وهو الذي يتَمَيَّز به عمل الفكر، ثم **الذكاء**: وهو قُوَّة الحدس، ثم **الفطنة**: وهي التنبُّه للشيء الذي يقصد معرفته، ثم **الكَيْس**: وهو استنباط الأنفع، ثم **الرَّأْي**: وهو استحضار المقدمات وإجالة الخاطر فيها، ثم **التبيُّن**: وهو علم يحصل بعد الالتباس، ثم **الاستبصار**: وهو العلم بعد التأمُّل، ثم **الإحاطة**: وهي العلم بالشيء من جميع وجوهه.. »[٩]، مما يدل على كثرة الألفاظ ذات الصلة بالذكاء، والتقارب الشديد بين الذكاء والفطنة من حيث المعنى والدلالة.

ثانيًا: أنواع الذكاء: كان الاعتقاد السائد في وقت من الأوقات أن الذكاء شيءٌ واحد، حتى جاء عام ١٩٨٣م، والذي نشر فيه عالم النفس الأمريكي (هوارد غاردنر Howard Gardner) نظرية (الذكاءات المتعددة) في كتابه "أُطُر العقل"، وذكر أن الإنسان يمتلك سبعة أنواع من الذكاءات، ثم أجرى عليها بعض التعديلات ليصل بها إلى تسعة أو عشرة، ومن تلك الذكاءات:

- **الذكاء اللغوي**: ويظهر في قدرة الفرد على التعامل مع الألفاظ والمعاني، أو في القدرة على استخدام الكلمة، ويستحوذ على حجم كبير من خلايا المخ.
- **الذكاء المنطقي الرياضي**: ويظهر في قدرة الفرد على استخدام الأرقام والسلوك المنطقي، ويتيح للشخص ملاحظة واستنباط ووضع العديد من الفروض الضرورية لإيجاد الحلول للمشكلات.
- **الذكاء الاجتماعي**: ويظهر في قدرة الفرد على الإحساس بالآخرين وإقامة علاقات سليمة معهم، ويفيد صاحبَه في القدرة على العمل بفاعلية مع الآخرين.
- **الذكاء الشخصي الذاتي**: ويظهر في القدرة على فهم الإنسان لمشاعره الداخلية والقدرة على ضبطها والتحكم بها، ومظهره (فهم الذات).
- **الذكاء العاطفي**: وهو الذي يعني إدارة العواطف المختلفة وتوجيهها [١٠].

---

(٩) الكليات للكفوي، ص ٦٧، مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري.

(١٠) راجع بتوسع: نظرية الذكاءات المتعددة: فهد بن عبدالعزيز الحميدة، ومساعد بن عبدالله المحارب، ص ١٧ وما بعدها، بدون دار نشر، وبدون تاريخ.

ثالثًا: مفهوم الدعوي:

الدعوي نسبةً إلى "الدعوة"، وفِعلُها (دَعَوَ)، الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، ومعناه: أن تُميل الشيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك، والدُّعَاةُ: قومٌ يَدْعُونَ إلى هُدى أو ضلالة، واحدُهم دَاعٍ. ورجلٌ داعِيَةٌ إذا كان يدعو الناسَ إلى بِدْعة أو دينٍ، أُدخِلَت الهاءُ فيه للمُبَالَغَة (١١).

وإذا كانت "الدعوة الإسلامية" تطلق ويراد بها الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، وتطلق ويراد بها حركة نشر الإسلام وتبليغه، فالذي يعنيني في هذه الدراسة هو الدعوة بالمعنى الثاني، وهو "النشر والتبليغ". والدعوة بهذا المعنى قد عرفت بتعريفات شتى في الاصطلاح، منها:

– تعريف د. أبو المجد نوفل: «قيام مَن عنده أهلية النصح الرشيد، والتوجيه السديد من المسلمين، في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقادًا ومنهجًا، وتحذيرهم من غيرِه بطرق مخصوصة» (١٢).

– تعريف د. أحمد غلوش: «هي العلم الذي به تعرف أسس وتطبيقات كافة جوانب العمليات الفنية المتنوعة التي يقوم بها القادر على تبليغ الإسلام على الوجه المشروع، وتحقيق انتشاره بين الناس وفق خطة علمية مدروسة» (١٣).

رابعًا: الذكاء الدعوي:

بعد التعرف على مدلول "الذكاء" ومفهوم "الدعوة"، يمكن القول بأن "الذكاء الدعوي" يقصد به: فطنة تعين الداعية على دقة الملاحظة، وسداد الفكر، وحسن التصرف، وتجعله يفهم نفسيةَ المدعوين، ويعالج معضلات المشاكل بحكمة وبُعد نظر، وينتبه لأمور قد تغيب عن الآخرين.

---

(١١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢٧٩، ولسان العرب لابن منظور ١٤/٢٥٩.

(١٢) الدعوة إلى الله تعالى (خصائصها، مقوماتها، مناهجها) دراسة مقارنة، د. أبو المجد سيد نوفل، ص ١٨، ط ١٩٧٧م.

(١٣) الدعوة الإسلامية (أصولها، وسائلها، أساليبها) في القرآن الكريم: د. أحمد غلوش، ص ٣٦، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ.

وهي أمور تدخل ضمن أهلية الداعية وقدرته على تبليغ الرسالة، ولا غنى للداعية عن قدرٍ معقولٍ من الذكاء يجعله كيّسًا فطنًا لبيبًا، تغنيه الإشارة عن العبارة؛ كي يتمكن من التعامل مع المشكلات المستعصية، ومواجهة المواقف المباغتة أو الأحداث المفاجئة دون تردد أو فشل، وذلك يتطلب مرونةً في التفكير، والوسائل، وتحديد الأولويات وترتيبها، والسير على خطة علمية مدروسة واضحة المعالم بالأهداف والغايات، الأمر الذي يجعل الحاجة ماسة إلى الذكاء الدعوي للنهوض بالدعوة والداعية.

وليس بالضرورة أن يكون الدعاة، كل الدعاة، من النابغين المتميزين في الذكاء، فقد خلق الله الخلق متفاوتين في القدرات العقلية، ويندر وجود دعاة محرومين من كل أنواع الذكاء، والذين حازوا كل أنواع الذكاء أيضا قليلون جدًّا، ولا حرج أن يتفاوت الدعاة في ذكائهم وألمعيتهم، المهم ألا يخلو داعية من قدرٍ من الذكاء يمكِّنه من استيعاب الأمور وإدراكها، ويجعله قادرًا على التفكير وإعمال العقل في المواقف المختلفة، إذ ليس شرطًا أن يكون الإنسان قد حاز كافة أنواع الذكاء حتى يصلح لأن يكون داعيًا إلى الله، كما لا يتصور خلوّ مَن يتصدر للدعوة من الذكاء بكافة أنواعه.

المبحث الأول

أهمية الذكاء الدعوي ووسائل تحصيله

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الذكاء الدعوي:

الدعوة إلى الله مهمة ثقيلة، ومسؤولية عظيمة، ولذلك انتدب الله رسلَه وأنبياءَه لتبليغها للناس، وحتى يتمكنوا من القيام بذلك جعلهم في أعلى درجات الكمال البشري، وجعل من شرائط النبوَّة: كمال العقلِ، وقوة الرأي، وتمام الحكمة، وقد أثنى الله ﷻ على إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٥١] أي: أعطيناه رشده، لعِلْمِنا أنه أهلٌ لذلك وكفءٌ له، لزكائه وذكائه، ولهذا ذكر محاجته لقومه (١٤)، وأثنى على داود عليه السلام بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، وأثنى على عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [آل عِمۡرَان: ٤٨] ويراد بالحكمة عند كثير من المفسرين: الفهم والعلم والمعرفة، وتلك هي أدوات الذكاء ومقومات الفطنة التي لا غنى للداعية عنها في عمله الدعوي.

ولذلك ذكر العلماء أنه يجب على الآباء والأمهات أن يعلموا أبناءَهم جميع ما يجب على المكلف معرفته من أمور العقائد؛ كي يرسخ الإيمان في قلوبهم، ومن ذلك: ((تعليمهم ما يجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما يستحيل، فالواجب: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة، والمستحيل: الكذب، والخيانة، وكتمان شيء مما أمروا بتبليغه، والبلادة)) (١٥)، وعليه ينبغي لرسل الله وأنبيائه أن يتوفر لهم من الذكاء والفطنة ما يجعلهم في أعلى درجات السمو العقلي ويعينهم على تبليغ الرسالة، فهم صفوة الله من خلقه، ورسله إلى عباده، وقد كانوا – صلوات

(١٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي، ص ٥٢٥، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

(١٥) إعانة الطالبين على حَلّ ألفاظ فتح المعين: البكري الدمياطي ١/٣٥، دار الفكر، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

الله وسلامه عليهم – يبلغون الغاية في هذه الصفة، وكل مَن جاء بعدهم تبعٌ لهم فيها وفي غيرها من صفات الكمال البشري.

والدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء في تبليغ الرسالة، وهم بحاجة إلى صدق الأنبياء وأمانتهم وفطانتهم، حتى يؤدوا مهمة التبليغ على الوجه الأكمل، وتتمثل أهمية الذكاء الدعوي فيما يلي:

١– الصلاح وحده لا يكفي: فقد يكون الداعية ديِّنًا ورِعًا تقيًّا، وهذا حسن، ولكنه لا يغني عن كون الداعية ذا عقلٍ وفطنة تعينه على أمر الدعوة، وهو ما أشار إليه الإمام الشعبي بقوله: «إنما كان يطلبُ هذا العلمَ مَن اجتمعَتْ فيه خَصْلتان: العقلُ، والنُّسُكُ، فإن كان ناسكًا ولم يكن عاقلًا قال: هذا أمرٌ لا ينالُهُ إلا العقلاءُ، فلَم يطلبْه، وإن كان عاقلًا ولم يكن ناسكًا قال: هذا أمرٌ لا ينالُهُ إلا النُّسَّاكُ، فلَم يطلبْه»، ثم تخوَّف الشعبيُّ من ذهاب الخَصلتين فقال: «ولقد رَهِبْتُ أن يكون يطلبُهُ اليومَ مَن ليس فيه وَاحِدٌ منهما، لا عَقْلٌ ولا نُسُك» (١٦).

٢– القدرة على فهم الرسالة الدعوية: فالذكاء يساعد الداعية على فهم مراد الله ومراد رسوله ﷺ، وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خَطَبَ النبيُّ ﷺ فقال: **(إنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بين الدنيا وبين ما عندَهُ، فاختارَ ما عندَ اللهِ)**، فبكى أبو بكرٍ ﷺ، فقلتُ في نَفْسِي: ما يُبْكِي هذا الشيخَ؟ إن يكنِ اللهُ خَيَّرَ عبدًا بين الدنيا وبين ما عندَهُ، فاختارَ ما عندَ اللهِ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ هو العبدَ، وكان أبو بكرٍ أعْلَمَنَا) الحديث (١٧)، فقد استطاع الصدِّيق ﷺ بفطنته أن يستنبط مرادَ رسول الله ﷺ، رغم أنه كان يتكلم عن عبدٍ خيَّره اللهُ بين أن يُؤتِيَهُ زَهْرَةَ الدنيا وبين ما عندَهُ، فاخْتَارَ ما عندَ الله، هكذا دون تحديد. قال القاضي عياض: «فيه التعريض بالعلم للناس،

(١٦) مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) ١/٣٧٧، دار المغني – السعودية، ط الأولى ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني.

(١٧) رواه البخاري في صحيحه: كتاب أبواب المساجد – باب الخَوْخَةِ والممرِّ في المسجد ١/١٧٧ ح رقم (٤٥٤)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم – باب من فضائل أبي بكرٍ الصديق ﷺ ٤/١٨٥٤ ح رقم (٢٣٨٢).

وإلقاء مُجملاته عليهم؛ لاختبار أفهامهم» [١٨]، وقال المهلب: «وفيه: أنه لا يستحق أحدٌ العلمَ حقيقةً إلا من فَهِم؛ ألا ترى أن أبا سعيد جعل لأبي بكر مزيَّةً بفهمه، أوجب له بها العلم حقيقةً وإن كان قد أوجب العلمَ للجماعة!» [١٩].

٣- القدرة على التواصل الفعال مع الناس: بعض الدعاة لا غبار عليه في علمه، فهو يتمتع بحصيلة علمية تجعله في عداد الدعاة المرموقين، غير أن ذكاءَه الاجتماعي بالغُ القصور، فهو عاجز عن التواصل الفعال مع المدعوين، واستيعاب الشارد منهم، ولذلك جاء في تعريف "الذكاء الاجتماعي": «حسن التصرف في المواقف والأوضاع الاجتماعية» [٢٠]، وعرفه "كارل ألبريخت Karl Albrecht" بأنه: «القدرة على الانسجام والتآلف الجيد مع الآخرين، وكسب تعاونهم معك» [٢١]، وأفاد بأن «القدرة على التواصل مع الناس تمثل نوعًا من "الذكاء" في حد ذاتها، فالأشخاص الذين يتمتعون بدرجة عالية من الذكاء الاجتماعي يجذبون الآخرين إليهم، أما أصحاب الذكاء الاجتماعي المحدود فإنهم ينفرون الآخرين منهم، وهكذا نجد أن التعبير القديم بشأن «الشخصية المغناطيسية» قد يكون صحيحًا تمامًا» [٢٢].

٤- القدرة على إقناع المدعوين والتأثير فيهم: فالداعية يحمل رسالة دعوية يريد تبليغها للناس، وهو بما أوتي من حجة وبرهان أقدر على إقناع الناس بالحق الذي يحمله، ولكي يكتسب الداعية مهارة الإقناع والتأثير فهو بحاجة إلى أن يكون فطنًا أريبًا، بحيث يرجح عقلُه عقولَ المخاطَبين، وتغلب حجتُه حجتَهم، ويستولي منطقُه على منطقِهم.

---

(١٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٣٨٣/٧، دار الوفاء - مصر، ط الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. تحقيق د. يحي إسماعيل.

(١٩) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١١٤/٢ باختصار، مكتبة الرشد - السعودية، ط الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

(٢٠) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر ٨١٨/١.

(٢١) الذكاء الاجتماعي: كارل ألبريخت، ص (م) المقدمة، مكتبة جرير، ط الأولى ٢٠٠٨م.

(٢٢) المرجع السابق، ص (ل – ن) المقدمة.

«والداعية – وهو في ميدان دعوته إلى الله – سوف يتعرض للنقاش والتساؤلات والاعتراضات، حين يعرض دعوته للناس، فإن لم يكن ذكيًّا فطنًا ولبيبًا وصاحب حجة، ويُفهم الآخرين، ويرد عليهم اعتراضهم بدليل أقوى من دليلهم، وحجة أوضح من حجتهم، فسوف يجد نفسَه في مأزق حرج، ويعرِّض دعوتَه للفشل أو السخرية، فكم من حقٍّ لم يجد عقلا ذكيًّا فضاع» (٢٣).

٥– حماية الدعوة من ويلات الحُمق والبلادة: فالداعية الذكي يُجَنِّب الدعوة مشاكل كثيرة يمكن أن تتعرض لها بسبب حماقة بعض المنتسبين إليها وبلادتهم وقصور تفكيرهم، ولذلك كان رسول الله ﷺ يستنكر البلادة، ومن ذلك قوله ﷺ لمن فهم أن المرادَ بالخيطين معناهما الحقيقي في قوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ**﴾ [البَقَرَة: ١٨٧]: (**إنك لَعَرِيضُ القَفَا إن أبْصَرْتَ الخيطين**) ثم قال: (**لا، بل هو سَوَادُ الليلِ وبَيَاضُ النَّهَارِ**) (٢٤)، وقوله ﷺ: «عريض القَفَا، إنما يقال ذلك لمن ينسب إلى البَلَه والغفلة. يقال: فلان عريضُ القَفَا، إذا كان قليلَ الفطنة، غليظَ الفهم» (٢٥).

ومن مضار البلادة: أنّها صفة ذميمة إذا استقرّت بالإنسان ورّثته الخمول في نفسه حتّى يرى نفسَه غيرَ مرغوب فيه بين أفراد المجتمع، وأن بعض البُلَداء والأغبياء يتّخذهم النّاس أضحوكة ومحلّ استهزاء وسخرية، وأن البلادة الناشئة عن استرخاء وكسل تجعل البليد محتقرًا في مجتمعه، وأنها تضيّع على صاحبها كثيرًا من الفرص والمناسبات التي يمكن أن تسعده في دنياه وآخرته (٢٦)، وهذا مما يتنافى مع ما تستلزمه الدعوة من وقار وهيبة الداعية

(٢٣) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله: لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة – الكويت، ص ١٦، ط الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٢٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير – باب: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ ٤/١٦٤٠ ح رقم (٤٢٤٠) واللفظ له، ومسلم في صحيحه: كتاب الصيام – باب بيان أن الدخولَ في الصومِ يحصلُ بطلوعِ الفجرِ، وأن له الأكلَ وغيرَه حتى يطلعَ الفجر. ٢/٧٦٦ ح رقم (١٠٩٠).

(٢٥) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي ٣/١٣٠٨، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود.

(٢٦) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: مجموعة من المؤلفين (بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي) ٩/٤١٠٦، دار الوسيلة – جدة، ط الرابعة، بدون تاريخ.

وتأثيره في المدعوين، الأمر الذي يفرض عليه أن ينأى بنفسه عن الغباء والحمق والبلادة، وأن يكون له النصيب الأوفر من الذكاء والفطنة.

المطلب الثاني: الذكاء الدعوي بين الموهبة والاكتساب:

يعتقد البعض أن الذكاء فطري مجرد، وأن الأذكياء مطبوعون على ذلك أصلًا وفطرة، وبالتالي لا مجال لاكتساب الذكاء لمن لم يكن مطبوعًا عليه غريزةً، وهذا كلامٌ غير مسلَّم؛ لأن التسليم به يلغي دور التربية والتعليم وأثرهما في تكوين الإنسان وتنشئته.

وما من شك في أن الذكاء يتضمن جانبًا فطريًّا، فقد يكون عطاءً وهبةً من الله ﷻ، قال الأبشيهي: «وقد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده، فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل وزيادة معرفة تخرجه عن حدِّ الاكتساب، ويصير بها راجحًا على ذوي التجارب والآداب، ويدل على ذلك قصة يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما أخبر اللهُ تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مَرْيَم: ١٢] ويقصد بالحكم: الفهم والعلم والجدّ والعزم [٢٧]، فمن سبقَت له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة، وأدركَتْهُ عناية أزلية، أشرقَت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية، فاتصف بالذكاء والفطنة قلبُه، وإن كان حديثَ السن قليلَ التجربة، كما نُقل في قصة سليمان وهو صبيٌّ، مع أبيه داود عليهما السلام، إذ تحاكم إليهما صاحبُ حرث، نفشَت فيه غنمُ القوم الآخرين، أي: رعَت ليلًا، فأكلَت ما في أشجاره، ورعَت زرعَه، فقضى فيه داود عليه السلام بأن الغنم تكون لصاحب الحرث؛ نظرًا إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان عليه السلام بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدرّها وصوفها، ويقومون على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادَّا ورجع كلٌّ منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام [٢٨]، وفي هذه القصة نزل قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا

(٢٧) تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير ٥/٢١٦، دار طيبة – الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: سامي بن محمد السلامة.

(٢٨) تفسير السعدي، ص ٥٢٨.

﴿لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩] فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المدة، بل حصلَت بعناية ربانية وألطاف إلهية، وإذا قذف اللهُ تعالى شيئًا من أنوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه اهتدى إلى مواقع الصواب، ورجح على ذوي التجارب والاكتساب في كثير من الأسباب» [٢٩]، وعليه قد يكون ذكاء الداعية وفطنته هبةً من الله ﷻ تستحق زيادة الشكر، ويرى الباحثون والمتخصصون في "إعداد الدعاة" أنه يلزم تنمية الذكاء الفطري لمن كان الذكاء لديه موهبة.

ويمكن اكتساب الذكاء لمن لم يكن لديه فطرةً، ومما يدل على أن الذكاء يمكن اكتسابه قول النبيّ ﷺ للمنذر بن عائذ (المعروف بأشجّ عبد القيس) رضي الله عنه: (**إنَّ فيك خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ، الحِلْمُ والأَنَاة**) قال: يا رسولَ اللهِ، أنا أَتَخَلَّقُ بهما، أم اللهُ جَبَلَنِي عليهما؟ قال: (**بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عليهما**) قال: الحَمْدُ لله الذي جَبَلَنِي على خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ ورسولُهُ [٣٠]، والحلم: العقل، والأناة: التثبت وترك العَجَلة، فسؤال المنذر للنبي ﷺ يدل على أنه ما من شيء من الصفات إلا وفيه جانب فطري وجانب مكتسب، «وبالنسبة للصفات المكتسبة، فهي لم تكتسب من فراغ، بل كان رصيد الفطرة معينًا كبيرًا لعملية الاكتساب، وعلى هذا فالتداخل بين ما هو فطري وما هو مكتسب إنما يلفت النظر إلى مسألة مهمة في تكوين الدعاة، أنه لا بد من اختيار العنصر القابل للخير لتمارس معه عملية التربية والتكوين» [٣١].

وإذا كان الذكاء منه ما هو فطري ومنه ما يمكن اكتسابه، فما الوسائل التي تعين الداعية على تنمية ذكائه الفطري، أو اكتساب تلك الصفة إن لم تكن لديه فطرةً؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه في المطلب التالي.

---

(٢٩) المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين الأبشيهي، ص ٢٠ باختصار وتصرف، عالم الكتب – بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ. تحقيق: سعيد محمد اللحام.

(٣٠) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان – باب الأمر بالإيمان باللهِ تعالى ورسولِهِ ﷺ وشرائع الدين ٤٨/١ ح رقم (١٧)، وأبو داود في سننه: كتاب الأدب – باب في قُبلة الرجل ٥١٢/٧ ح رقم (٥٢٢٥)، واللفظ لأبي داود.

(٣١) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله، ص ١٦.

المطلب الثالث: وسائل تحصيل الذكاء الدعوي وتنميته:

أولا: الإعداد الجيد للدعاة:

الإعداد والتهيئة ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية، وتزداد أهمية الإعداد كلما كانت المهمة دقيقة وعظيمة، فالطبيب، والطيار، والمهندس، ونحوهم، يتم إعدادهم نظريًّا وعمليًّا بعناية فائقة؛ لأنهم سيتحملون مسؤولية المحافظة على أرواح البشر، ومهمة الدعاة لا تقل أهمية عن مهمة من سبقوهم، بل هي أعظم، لذا ينبغي إعدادهم ليكونوا ورثة الأنبياء وحملة مشاعل الهداية والتوجيه والإصلاح، وتلك وظيفة كبرى ومهمة عظمى، انتدب الله أمة الإسلام كافة لإعداد من يقوم بها، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٤] أي: ولتكن منكم طائفة متميزة تقوم بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمخاطب بهذا هم المؤمنون كافة، فهم مكلفون بأن ينتخبوا منهم أمة تقوم بهذه الفريضة، وذلك بأن يكون لكل فردٍ منهم إرادة وعمل في إيجادها، ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة، حتى إذا رأوا منها خطأً أو انحرافًا أرجعوها إلى الصواب، وقد كان المسلمون في الصدر الأول على هذا النهج من المراقبة للقائمين بالأعمال العامة، وكان الخاصة من الصحابة متكاتفين في أداء هذا الواجب، يشعر كلٌّ منهم بما يشعر به الآخر من الحاجة إلى نشر لواء الإسلام وحفظه، وكان سائر المسلمين تبعًا لهم، ويجب فيمن يقوم بهذه الدعوة شروط، ليؤدي وظيفته خير الأداء، ويكون مثلا صالحًا يحتذى به في علمه وعمله، وهم الذين أشار إليهم الكتاب الكريم بقوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوْبَة: ١٢٢]، وهؤلاء يقومون بتطبيق أحكام الله تعالى على مصالح العباد في كل زمان ومكان على مقدار علمهم في المساجد والمنتديات العامة وفي المحافل ونحوها عند سنوح الفرصة. ولن يتم ذلك إلا إذا أَعد أهلُها للأمر عدته، وكملوا أنفسهم بالمعارف والعلوم اللازمة، وتخلقوا بفاضل الأخلاق وحميد الصفات [٣٢].

(٣٢) تفسير المراغي ٤/٢٢، ٢٣ باختصار، دار مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ط الأولى ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

وإعداد هؤلاء الدعاة هو واجب الأمة بالدعم والمساندة، وواجب مؤسسات الدعوة بالتنفيذ والمتابعة، واختيار العناصر الجيدة التي تصلح لذلك فطرة واستعدادًا، وينبغي أن تتم عملية الإعداد الجيد للدعاة، وفق خطوات علمية، أذكرها على النحو التالي:

١- الاختيار المبكر للدعاة: لا أكون مبالغًا إذا قلت: إن اختيار الداعية إنما يبدأ من مرحلة الطفولة، ذلك أن «الطفل يولد بمجموعة من الصفات الموروثة من والديه، ويكتسب مجموعة أخرى من بيئته الأسرية، فإذا ما بدأ دراسته الأولى في المدرسة أو الكُتَّاب (الحلقة) أخذ في اكتساب المزيد من الصفات عن طريق أقرانه وأساتذته» (٣٣)، وباعتقادي أن الاكتشاف المبكر لهذه الأشياء هو من الأهمية بمكان، ولذا فإن العمل على معرفة الميول واكتشاف المهارات ينبغي أن يبدأ من الصغر، ذلك أن الطفل في هذه المرحلة يكون أكثر قابلية للتدريب وأعظم قابلية لتنمية المواهب والاستعدادات، ويكون أسرع استجابة للتوجيه، وهو قول الشاعر:

قد ينفع الأدبُ الأحداثَ في صغرٍ ... وليس ينفع عند الشَّيبَةِ الأدبُ

إن الغصـون إذا قوَّمْتَـها اعتـدلَتْ ... ولن يلـينَ إذا قوَّمتَـه الخشـبُ (٣٤)

٢- احتضان الموهوبين، والعمل على تنمية مواهبهم وصقل قدراتهم: ليكون منهم بعد ذلك الدعاة والخطباء والقادة، فهؤلاء هم الذين تعتمد عليهم الأمم في بناء حاضرها والتخطيط لمستقبلها، ويمكن اكتشاف ذلك بوسائل كثيرة تساعد على اختبار قدراتهم واستعداداتهم، فقد كان السلف رضوان الله عليهم يختبرون من يُعلِّمون حتى يضعوا البذرة في أرض خصبة، ومن ذلك ما حدث من الخليل بن أحمد "عالم العربية" حينما أتاه النظَّام بولده إبراهيم وقال له: علِّم لي ولدي هذا، فقد اختبرَه أولا، فقال له: صِف هذا الكأس، وأشار إلى كأس في يده، فقال الغلام: بمدحٍ أو بذم؟ قال: بمدح، فقال الغلام: تُريك القذى، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراءَها، قال: فذمَّها، فقال الغلام: يسرع إليها الكسر، ولا تقبل الجبر! قال: فصف هذه النخلة – وأومأ إلى نخلة في داره – فقال: أبمدحٍ

(٣٣) الدعوة الإسلامية: د. أحمد غلوش، ص ٤٦٧، ٤٦٨ باختصار وتصرف.

(٣٤) ديوان المعاني: أبو هلال العسكري ٢/٢٣٤، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

أم بذم؟ قال: بمدح، قال: هي حُلوٌ مجتناها، باسقٌ منتهاها، ناضرٌ أعلاها، قال: فذمَّها، قال: هي صعبة المرتقى، بعيدة المجتنى، محفوفة بالأذى، فقال الخليل: يا بنيّ، نحن إلى التعلم منك أحوج [٣٥]، وقَبِل أن يعلمه لما رأى فيه من فطنة وذكاء فطري.

«ولذلك ننادي بضرورة اختيار الأطفال الموهوبين منذ صغرهم، وتوجيههم لعلوم الدعوة ليشبوا على حب الدعوة والإخلاص لها، ذلك أن الطفل الموهوب يتميز بالذكاء، ويعرف بين أقرانه بمستوى التحصيل، وطريقة الحوار، ودقة الأداء لما يُكلَّف به، ولذا فهو من خيرة الدعاة، إنه باختصار صاحب قدرات خاصة عقلية وحركية، وهذه القدرات الخاصة تبرزه طموحًا منذ صغره، وتجعله واثقًا من علمه، راضيًا يتوجهه، لا يخاف فشلًا، ولا يرضى بكسل، وينبغي في المرحلة الأولى من الدراسة الجامعية أن توضع بطاقة لكل طالب، تدون فيها ميوله، ورغباته، ومستوى ذكائه، وقدرته على التحصيل الدراسي، ومدى استجابته لتوجيه أساتذته، ومدى تأثره بأقرانه وتأثيره فيهم؛ لأن هذه المعلومات تعتبر مؤشرًا على شخصية الطالب واتجاهاته فيما بعد» [٣٦].

٣- تقريب المتفوقين والنجباء وتشجيعهم: فقد كان عمرُ ﷺ يُدْنِي ابنَ عباسٍ، فقال له عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: إنَّ لنا أبناءً مثلَهُ، فقال: إنه مِن حيثُ تَعْلَمُ، فسأل عمرُ ابنَ عباسٍ عن هذه الآيَةِ: ﴿**إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ**﴾ [النَّصر: ١] فقال: أَجَلُ رسولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إيَّاهُ، قال: ما أَعْلَمُ منها إلا ما تَعْلَم [٣٧]، وما من شكٍّ في أن إدناء النبغاء وتقريبهم يخلق بيئة ملائمة للنهوض بهم، وتنمية قدراتهم وملكاتهم، والاستفادة بهم في خدمة المجتمع.

ثانيًا: بث روح التفكير وإعمال العقل:

ففي الحديث عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (**إنَّ مِن الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وإنَّهَا مَثَلُ المسلمِ، فحَدِّثُونِي ما هي؟**) فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوَادِي. قال عبدُ اللهِ: ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ

(٣٥) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم ١٩/٣، ٢٠، مطبعة النعمان، العراق، ط الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. تحقيق: شاكر هادي شكر.

(٣٦) الدعوة الإسلامية: د. أحمد غلوش، ص ٤٦٧، ٤٦٨ باختصار وتصرف.

(٣٧) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام ١٣٢٧/٣ ح رقم (٣٤٢٨).

فاسْتَحْيَيْتُ، ثم قالوا: حَدِّثْنَا ما هي يا رسولَ اللهِ. قال: فقال: (**هي النَّخْلَة**) قال: فذَكَرْتُ ذلك لِعُمَرَ قال: لَأَنْ تَكُونَ قلتَ: هي النَّخْلَةُ، أحَبُّ إليَّ مِن كذا وكذا [٣٨]، وقوله: (فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوَادِي) أي: ذهبت أفكارُهُم إلى أشجار البوادي، وكان كل إنسان يفسرها بنوع من أنواع شجر البوادي، وذهلوا عن النخلة، «وفي الحديثِ: استحباب إلقاء العالِمِ المسائلَ؛ ليَختبِرَ أفْهامَهُم، وفيه: ما يدُلُّ على فِطنةِ عَبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ؛ فإنَّ اللهَ تعالَى جَبَلَه على الفِطنةِ، وفيه: ما يدُلُّ على أنَّه للوالدِ أنْ يُظهِرَ السُّرورَ بفِطنةِ الولدِ وذَكائِه» [٣٩].

فتأمل كيف استثار رسول الله ﷺ أذهانهم، وشغل عقولهم بالتفكير في سؤاله الذي ألقاه، ولقد كان بإمكان رسول الله ﷺ أن يسوق المعلومة مباشرة، لكنه أراد أن ينمي فيهم ملكة التفكير، فهي وسيلة فعالة لاكتساب الذكاء والفطنة، وتأمل تشجيع الصحابة ﷺ لأولادهم وتحفيزهم على ذلك، ولذلك دعا القرآن الكريم إلى التفكير، وحث على النظر العقلي، والتأمل، وتقليب الأمر على أوجهه لفهمه وإدراكه.

والعلاقة بين التفكير والذكاء وثيقة، «فبعض العلماء ذهبوا إلى الربط بين التفكير والذكاء، وأصبح التفكير يعرف على أنه العملية الظاهرة للذكاء الموروث، ويقول «دي بونو»: إنه من المعروف أن الذكاء والتفكير أمران أساسيان للعملية التربوية، فالذكاء هو مسألة وراثية تعتمد على الجينات أو على البيئة المبكرة، أو على مزيجٍ من الاثنين معًا، أما التفكير فهو المهارة التي يمارِس الذكاء من خلالها أنشطته على الخبرة، وهذه هي العلاقة الصحيحة بين الذكاء والتفكير» [٤٠].

---

(٣٨) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم – باب قولِ المحدِّثِ حَدَّثَنا أو أخْبَرَنا وأنْبَأَنا ١/٣٤ ح رقم (٦١)، ومسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب مثل المؤمن مثل النخلة ٤/٢١٦٤ ح رقم (٢٨١١).

(٣٩) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن ٣/٢٧، دار النوادر – دمشق، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، والإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٤/١٢٢، دار الوطن، طبعة ١٤١٧هـ. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد.

(٤٠) مهارات التفكير وأساليب التعلم: د. سالم علي الغرايبة، ص ٤٧، دار الزهراء – الرياض، ط الثانية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

ثالثًا: العلم والخبرة:

فبالعلم تتضح معالم طريق الدعوة، وبالخبرة يستطيع الداعية التغلب على المشكلات التي تواجهه، وكلما كان العلم أكثر والخبرة أطول كانت النتائج أفضل، وأعني بـ «الخبرة»: مخالطة الناس والاستفادة من تجارب الحياة، فعن شيخٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، وهو ابنُ عُمَر – يُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **(المؤمنُ الذي يُخَالِطُ الناسَ، ويصبرُ على أذَاهُم أعْظَمُ أجرًا مِن الذي لا يُخَالِطُهُم، ولا يصبرُ على أذَاهُم)** (٤١)، فمخالطة الناس فيها خيرٌ كثيرٌ للدعوة، لما فيها من لقاء المدعوين ونصحهم وحثهم على فعل الخير، فضلًا عما يكتسبه الداعية من الخبرة والتعلم من تجارب الحياة، وهو ما أشار إليه الأبشيهيُّ بقوله: «واعلم أن العقل ينقسم إلى قسمين: قسم لا يقبل الزيادة والنقصان، وقسم يقبلهما. فأما الأول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء. وأما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب، وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع، وباعتبار هذه الحالة يقال: إن الشيخَ أكملُ عقلًا وأتمُّ درايةً، وإنَّ صاحبَ التجارب أكثرُ فهمًا وأرجحُ معرفة، ولهذا قيل: من بيّضَت الحوادثُ سَوادَ لِمَّتِهِ [أي: شعر رأسه الذي يتجاوز شحمة أذنه]، وأخلقَت التجاربُ لباسَ جدَّتِهِ [أي: لباسه الجديد]، وأراه اللهُ تعالى – لكثرة ممارسته – تصاريفَ أقداره وأقضيته، كان جديرًا برزانة العقل ورجاحة الدراية» (٤٢)، وبمرور الوقت يستفيد الداعية من صوابه وأخطائه، وتتراكم خبراته وتجاربه، فتتسع مداركه، وينمو ذكاؤه، وتزيد فطنته، وتتجلى حكمته.

رابعًا: مصاحبة الحكماء والتتلمذ على أيدي الدعاة الفطناء:

لا يكفي الداعية أن يستفيد من خبراته وتجاربه فقط، وإنما عليه أن يستفيد من تجارب السابقين والمعاصرين من دعاة الإسلام، وذلك بأن يكثر من القراءة في سِيَر من سبقوه، ويحرص على مجالسة النابهين من الدعاة والنابغين من العلماء، حتى يستقي من خبراتهم ويتعلم من تجاربهم، ويأخذ من ذكائهم وفطنتهم.

(٤١) رواه أحمد في مسنده ٩/٦٤ ح رقم (٥٠٢٢) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٤٢) المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين الأبشيهي، ص ٢٠.

لقد استفاد التابعون من مجالستهم لصحابة رسول الله ﷺ، وملازمتهم لهم، وتتلمذهم على أيديهم، فنهلوا من علمهم، وأخذوا من صفاتهم، حتى قال «مسروق بن الأجدع» أحد كبار التابعين بالكوفة: «لقد جالستُ أصحابَ محمدٍ ﷺ، فوجدتُهم كالإخاذِ [أي: غدير الماء]، فالإخاذُ يُرْوِي الرجلَ، والإخاذُ يُرْوِي الرّجُلين، والإخاذُ يُرْوي العشرة، والإخاذُ يُرْوي المائةَ، والإخاذُ لو نزَلَ به أهلُ الأرض لأصْدَرَهُم» (٤٣) أي: لكفاهُم ورَوَاهُم

من الأخطاء التي يرتكبها بعض شباب الدعاة أن يكون تلميذَ كتاب لا تلميذَ إمام، فهو يتتلمذ على الكتب، ويكتفي بالتلقي منها مباشرة، دون الرجوع إلى علماء متخصصين أو دعاة محنَّكين يبينون له ما أشكل عليه من فهم وما غاب عنه من فقه، وينقلون إليه تجارب الحركة في ميدان الدعوة، فلا يستنكف الداعية عن الانتفاع بخبرات وتجارب مَن سبقوه، وإلا وقع في أخطاء ما أغنى الدعوة عنها.

خامسًا: التعمق في الدراسات التاريخية والنفسية والاجتماعية:

حيث تكشف لنا الدراسات التاريخية عن سنن الله تعالى في قيام الحضارات والدول وسقوطها، وهي سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، قال تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فَاطِر: ٤٣] ومن خلال معرفة تلك السنن نستطيع فهم الواقع، أما الدراسات النفسية فهي تفيد في فهم نفسية المدعوين، وإدراك اهتماماتهم، وبالتالي مخاطبتهم على قدر عقولهم، والدراسات الاجتماعية تساعد الداعية على معرفة طبيعة المجتمعات البشرية، وما من شكٍّ في أن الإلمام بتلك العلوم يساعد الداعية على فهم الواقع، كما يعينه على إدراك طبيعة الجمهور الذي يخاطبه، ويمنحه القدرة على فهم سنن الله وقوانينه التي تحكم مسيرة المجتمعات البشرية، فهو يتأمل الظواهر الاجتماعية حوله، ويحللها ويعرف كيف يتعامل معها في ضوء تلك السنن والقوانين، وجميع ما سبق يضيف إلى رصيد الداعية من الذكاء والفطنة، والفهم السليم لمجريات الأمور حوله.

(٤٣) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" ٢/٢٦١، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

المبحث الثاني

آثار الذكاء الدعوي وثمراته

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحكمة:

تطلق الحكمة في اللغة ويراد بها معانٍ عدة: منها: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ومنها: إصابة الحق بالعلم والعقل، والحكيم: هو الذي يُحكِم الأشياءَ ويتقنها، يقال: أحكمَتْه التجارب: أي جعلته حكيمًا، والكلام الحكيم: هو الذي يقلُّ لفظه ويَجِلُّ معناه (٤٤).

وقد كثرت تعريفات الحكمة في الاصطلاح: عرفها ابن القيم بأنها: وَضْعُ الشيءِ في موضعه، وبأنها: فِعْلُ ما يَنْبَغِي، على الوجهِ الذي يَنْبَغِي، في الوقتِ الذي ينبغِي (٤٥)، وعرفها أبو حامد الغزالي بأنها: حَالَةٌ لِلنَّفْسِ بها يُدْرَكُ الصَّوَابُ من الخطأ، وهي بهذا المعنى فضيلة خُلُقيَّة ينتج عنها: حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وإصابة الظن، والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس، وهي وسط بين رذيلتين، إذ ينتج عن إفراطها – زيادتها عن الحد الوسط – المكر والخداع والدهاء، ومن تفريطها البَلَه والحُمق (٤٦).

وهي بهذه المعاني لازمة للداعية في كل أحيانه وأحواله، ولذا فقد أرشد الحق ﷻ إلى استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله، فقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ [النَّحل: ١٢٥]، وجعلها عطاءً ربانيًّا في السلوك الإنساني فقال: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]، قال

(٤٤) انظر: لسان العرب لابن منظور ١٤٠/١٢، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٤٩، دار القلم، والدار الشامية – دمشق بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، والمعجم الوسيط ١٩٠/١.

(٤٥) مدارج السالكين لابن القيم ٤٤٨/٢، ٤٤٩، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

(٤٦) انظر: إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي ٥٤/٣ وما بعدها، دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ.

إبراهيم النخعي: الحكمة: الفهم، وقال زيد بن أسلم: الحكمة: العقل، وقال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة: الفقه في دين الله، وأمرٌ يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك، أنك تجد الرجل عاقلًا في أمر الدنيا ذا نظر فيها، وتجد آخرَ ضعيفًا في أمر دنياه، عالما بأمر دينه، بصيرًا به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة: الفقه في دين الله [٤٧]، وهي أقوال تدل – في جملتها – على أن الحكمة هي مظهر العقل الرشيد، والفهم السديد.

العلاقة بين الحكمة والذكاء: الملاحظ أن الحكمة قد تحتاج إلى قدر جيد من الذكاء لمعرفة وجه الحق، ولكن كثيرًا ما يوجد الذكاء ولا توجد الحكمة، فبعضهم يُعرف الذكاء بأنه: حسن التكيف والتلاؤم مع البيئة ومع الأحوال والأحداث الطارئة، وظاهر أن مثل هذا التعريف لا يصلح لأن تفسر به الحكمة، وذلك لأن التكيف والتلاؤم مع البيئة والأحوال والأحداث الطارئة قد يكون ذكاءً حكيمًا، وقد يكون ذكاءً غير حكيم، فالمنافق قد يرى نفسه يتكيف تكيفًا ذكيًّا، فيتلاءم مع البيئة وينافق لها، ولكن من ينافق في الدين الحق غير حكيم، والذي يجد نفسه في بيئة فاسدة منحرفة عن سواء السبيل فيتكيف معها، ويجاريها في أعمالها، قد يرى أنه يتكيف تكيفًا ذكيًّا، فيتلاءم مع البيئة ويسايرها، ولكنه في ذكائه هذا غير حكيم، واللصوص والمجرمون قد يكونون أذكياء جدًّا، ولكنهم ليسوا بحكماء، فالذكاء إذن شيء والحكمة شيء آخر، ولكن قد يكون الذكاء مادة أو وسيلة للتعرف على وجوه الحكمة [٤٨].

وبالتالي، فالذكاء النافع هو الذي ينتج حكمة، وأهم ما يميز الذكاء الدعوي: أنه يثمر حكمة تهذب الداعية وتضبط تصرفاته، ولذلك فإن «أحسن ما قيل في "الحكمة" قول مجاهد ومالك: إنّها معرفة الحقِّ والعمل به، والإصابة في القول والعمل» [٤٩]، والداعية الذكي ما لم تكن له حكمة تعصمه وتقوده إلى معرفة الحق والعمل به، والإصابة والسداد في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته، فذكاؤه لا خير فيه.

---

(٤٧) تفسير ابن كثير ١/٧٠٠، دار طيبة – الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: سامي بن محمد السلامة.

(٤٨) الأخلاق الإسلامية وأسسها: د. عبدالرحمن الميداني ١/١٩، دار القلم – دمشق، ط الثالثة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٤٩) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٤٤٨.

إن الذكاء الدعوي يقتضي أن يكون الداعية ذا عقل راجح، وأن يكون ذا حكمة وتجربة، يقول معاوية ﷺ: (**لا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ**) (٥٠)، وأن يكون ذا قدرة على الإحاطة بالأمور، وسرعة فهمها وحسن تصريفها، ولا تغلب عليه الخفة والرعونة أو انغلاق التفكير في مواقف الإثارة والغضب، فكثيرًا ما يتعرض الداعية إلى مواقف صعبة وقضايا معقدة، ولا بد له من التصرف الحكيم العاقل إزاء كل عقبة أو موقف، بأن يخصص لكل مقام مقالا، ويلبس لكل حالة لبوسها.

المطلب الثاني: البصيرة النافذة:

البصيرة: فعلها بصُر (بالضم)، وهي تدل على العلم بالشيء والخبرة فيه، وقوله ﷻ: ﴿**عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى**﴾ [يُوسُف: ١٠٨] أي: على معرفةٍ وتحقق، والبصيرة: قوة الإدراك والفطنة، والبصيرة: الحجة والبرهان، وأصل ذلك كله وضوح الشيء، والتبصُّر: التأمل والتعرف، وتبصَّر في رأيه: تبيَّن ما يأتيه من خيرٍ أو شر، قال الراغب: البصر يقال للجارحة الناظرة (أي العين) نحو قوله تعالى: ﴿**كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ**﴾ [النَّحْل: ٧٧]، ويقال لقوة القلب المدرِكة بصيرة وبَصَر، نحو قوله تعالى: ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ [ق: ٢٢]، وجمع البصر: أبصار، وجمع البصيرة: بصائر (٥١)، وعرفها الجرجاني بأنها: قوة للقلب يرى بها حقائقَ الأشياء وبواطنَها، بمثابة البصر للنفس يرى به صورَ الأشياء وظواهرَها (٥٢)، ويمكن تعريفها في الاصطلاح الدعوي بأنها: «اسم جامع للمدركات الشرعية والعقلية والقلبية المفضِية إلى معرفة بواطن الأشياء، واستظهار الأمور من خلال اليقين والهدى الحق، المدعوم بالحجج والبراهين والأدلة الواضحة في دعوة الناس وإرشادهم إلى الخير وتحذيرهم من الشر» (٥٣).

---

(٥٠) رواه البخاري في صحيحه ٥/٢٢٧١.

(٥١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/٦٥، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٢٧، ومقاييس اللغة لابن فارس ١/٢٥٤، والمعجم الوسيط ١/٥٩.

(٥٢) التعريفات للجرجاني، ص ٤٦.

(٥٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية: د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ٢/٥٣٧، دار الحضارة – الرياض، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ويقابل البصيرة: ضيق الأفق أو قصر النظر، وهو ضعف أو خلل في البصيرة، يؤدي إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان والزمان، أو بعبارة أخرى: ضعف أو خلل في البصيرة يؤدي إلى رؤية القريب وما تحت القدمين فقط، دون النظر إلى البعيد، ودون تقدير الآثار والعواقب، ومن الأسباب التي تؤدي إلى ضيق الأفق أو قصر النظر: النشأة الأولى، فقد ينشأ الإنسان في بيئة لا تهتم كثيرًا بتنمية الذكاء الفطري أو المواهب لدى أفرادها، وتكون العاقبة انحسار دائرة التفكير أو النظر والتأمل.

علاقة البصيرة بالذكاء: تعد البصيرة إحدى مكونات الذكاء الاجتماعي، يقول كارل ألبريخت: «يتألف "الذكاء الاجتماعي" من شيئين هما: البصيرة والسلوك» (٥٤).

ولأهمية "البصيرة" للدعاة، فقد أشاد بها القرآن الكريم، وشهد بها للداعية الأول ﷺ، هو ومن اتبعه ودعا بدعوته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: ١٠٨] وقوله ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: حجة واضحة من أمري بنظري الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وترك التقليد الدالّ على الغباوة والجمود، لأن البصيرة: المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل دينًا ودنيا، بحيث يكون كأنه يبصر المعنى بالعين (٥٥).

«إن الداعية مطالب شرعًا بتحصيل البصيرة في دعوته، وهذا إنما يتأتى بمعرفة واقع المجتمعات وأفرادها وهيئاتها ومؤسساتها، كما يتحقق بالاطلاع على وسائل وأساليب العصر المتجدد التي تخدم الدعوة وتدفع بها قدمًا للأمام، وامتلاك الدعوة لرؤية صحيحة واضحة عن مجتمعاتها ومشكلاتها وكيفية التعامل معها وأساليب علاجها تحول دون الفوضى والتخبط، وتمكّن الدعاة من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وتجعل المواصلة والاستمرار عملا ممكنًا، فمن الخطأ البيّن: الاستعاضة عن العلم والوعي بالواقع بأمر آخر، ولو كان هذا الأمر هو بذل النفس والنفيس؛ لأن البذل لا ينتج ثمرته، ولا يعطي نتيجته إلا إذا استوفى شروط إنتاجه، وامتنعت موانعه، فمن لم يعرف الواقع في الخلق، والواجب في الحق، لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كله كان قوله وعمله بجهل،

(٥٤) الذكاء الاجتماعي: كارل ألبريخت، ص ٣.

(٥٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي ٢٤٢/١٠، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد – الهند، ط الأولى (١٣٨٩ – ١٤٠٤هـ) (١٩٦٩– ١٩٨٤م).

ومن عبد اللهَ بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح)) [٥٦]، ومن هنا وجب على دعاة الإسلام أن يكونوا على وعي كامل وإحاطة تامة بواقع الدعوة ومتطلباتها، فبالوعي تكتمل بصيرة الداعي، ذلك أن الداعية إذا تصدر للدعوة وهو يجهل الواقع من حوله، فلربما جانبه التوفيق في كثير من خطواته، فأضرَّ من حيث أراد النفع، وأفسد من حيث أراد الإصلاح.

والبصيرة في الدعوة تقتضي من الداعية جملة أمور مهمة، منها:

١- البصيرة بمضامين الدعوة ومحتوياتها، والعلم بالمعروف الذي يؤمر به، والمنكر الذي ينهى عنه.

٢- البصيرة بالمدعوين الذين تتوجه لهم الدعوة، سواء أكانوا من أمة الدعوة أم من أمة الاستجابة.

٣- البصيرة بالداعية نفسه، وقدراته وإمكاناته وتهيئته للعمل.

٤- البصيرة بالأساليب والوسائل المستعملة في الدعوة.

٥- البصيرة بما يكتنف عملية الدعوة من ظروف زمانية ومكانية وموضوعية واجتماعية [٥٧].

المطلب الثالث: الفِراسة الصادقة:

يراد بالفِراسة (بكسر الفاء) في اللغة: النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به، وأفْرَسُ الناسِ: أي أصْدَقُهم فِرَاسَة، ومنه: «أنا أفْرَسُ بالرِّجَالِ منك» أي: أبْصَرُ وأعْرَف، وتفرَّس في الشيء: توسَّمَه، ورجلٌ فارسٌ بالأمر: أي عالمٌ به بصير، والفراسة: المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها [٥٨].

(٥٦) معالم في أصول الدعوة: د. محمد يسري، ص ٦٤، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٥٧) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية: د. عبدالرحيم المغذوي ١/٢٩٦،٢٩٧.

(٥٨) لسان العرب لابن منظور ٦/١٦٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/٤٢٨، المكتبة العلمية – بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، والمعجم الوسيط ٢/٦٨١.

ويمكن تعريف الفراسة في الاصطلاح بأنها: القدرة على إدراك الأشياء والنظر في البواطن بقوة الذكاء ووفرة الفطرة [٥٩]، ويتضح من تعريف الفراسة أن للذكاء والفطرة منها نصيب، وهذا لا يتنافى مع حقيقة أخرى مفادها أن للتقوي والتجارب نصيبها الأوفر في تنميتها وتصحيح مسارها، وهو ما نبه إليه ابن الأثير بقوله: «وتطلق الفراسة على معنيين: أحَدُهما: ما يوقِعُه اللهُ تعالى في قُلوب أوليائِهِ، فيعلمون أحوالَ بعضِ الناسِ بنوعٍ من الكَرَامَاتِ وإصابةِ الظَّنّ والحَدْس، وهو ما دل عليه ظاهر حديث: (**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤمنِ فإنه ينظر بنُورِ الله**) [٦٠]، والثاني: نوعٌ يُتَعَلَّم بالدلائلِ والتجاربِ والخَلْق والأخلاقِ، فَتُعْرف به أحوالُ الناس» [٦١].

وفي القرآن الكريم إشارة إلى الفراسة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحِجْر: ٧٥] قال مجاهد: للمُتفَرِّسين، وقال ابنُ عباسٍ ﷺ: للنَّاظرين، وقال قتادة: للمُعتبرين، وقال مقاتل: للمتفكِّرين، ولا تَنافِيَ بين هذه الأقوال، فإن الناظرَ متى نظر في آثار ديار المكذِّبين ومنازلهم وما آل إليه أمرُهم أورثَه فراسةً وعبرةً وفكرةً، وقال تعالى في حقِّ المنافقين: ﴿**وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ**﴾ [مُحَمَّد: ٣٠] فالأوّل: فراسة النظر والعين، والثّاني: فراسة الأذن والسمع [٦٢].

وسببها: نورٌ يقذفه اللهُ في قلب عبده، يُفرِّق به بين الحقِّ والباطل، والصّادق والكاذب، وحقيقتها: أنّها خاطرٌ يَهجُم على القلب ينفي ما يضادُّه، يَثِبُ على القلب كوثوب الأسد على الفريسة، وهذه الفراسة على حسب قوّة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحدُّ فراسةً، قال أبو عمرو بن نُجيدٍ: كان شاه الكرمانيُّ حادَّ الفراسة، لا يخطئ، ويقول: «من غضَّ بصرَه عن المحارم، وأمسك نفسَه عن الشهوات، وعَمَرَ باطنَه بدوام المراقبة وظاهرَه باتِّباع السُّنّة، وتعوَّدَ أكلَ الحلال، لم تُخطِئْ فراستُه»، وقال ابن مسعودٍ ﷺ: «أفْرَسُ النّاس ثلاثةٌ: العزيز في يوسف، حيث

(٥٩) مستفاد من: فراسة المؤمن: إبراهيم الحازمي، ص ٩، دار الشريف، ط الخامسة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٦٠) رواه الترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ – باب ما جاءَ في الذي يُفَسِّرُ القُرآنَ برأْيِهِ (من سورة الحجر) ٥/٣٥٥ ح رقم (٣٣٩٢)، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، إنما نَعرِفُه من هذا الوجه.

(٦١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/٤٢٨.

(٦٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٤٥٢.

قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾ [يُوسُف: ٢١]، وابنة شعيبٍ حين قالت لأبيها في موسى: ﴿اسْتَأْجِرْهُ﴾ [القَصَص: ٢٦]، وأبو بكرٍ في عمر حيث استخلفه))، وكان الصِّدِّيقُ ﷺ أعظمَ الأمّة فراسةً، وبعده عمر بن الخطّاب ﷺ، ووقائع فراسته مشهورةٌ، فإنّه ما قال لشيءٍ «أظنُّه كذا» إلّا كان كما قال، ويكفي في فراسته موافقتُه ربّه في المواضع المعروفة، وكذلك عثمان بن عفّان ﷺ كان صادقَ الفراسة. قال أنس بن مالكٍ ﷺ: دخلتُ على عثمان بن عفّان، وكنتُ رأيتُ في الطّريق امرأةً تأمّلتُ محاسنَها، فقال عثمان: يدخل عليّ أحدُكم وأثر الزِّنا ظاهرٌ في عينيه. فقلت: أوَحْيٌ بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكن تبصرةٌ وبرهانٌ وفراسةٌ صادقةٌ (٦٣).

حاجة الداعية إلى قدر من الفراسة: إن الذين يتولون إصلاح الجماهير يجب أن يكون لهم من قوة الفراسة، ونفاذ البصيرة ما يمكنهم من أن يدركوا خلجات القلوب من العيون، وحركات النفوس من غضون الوجوه؛ ليستطيعوا أن يخاطبوا الوجدان، ويصيبوا المشاعر بما يريدون (٦٤)، والداعية الصادق لا تكاد تخطئ له فراسة، وبالتالي لا غنى للداعية عن قدرٍ معقولٍ من الفراسة، فهي تكشف له عن طبائع الأمور، ويستطيع من خلالها التعرف على آفات النفوس وكيف يمكن معالجتها، كما أنها تساعده على معرفة أحوال المدعوين على النحو التالي:

١- فهم المسكوت عنه: فقد جاءت امرأةٌ إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فقالت: أشكو إليكَ خيرَ أهل الدنيا إلا رجل سبقه بعملٍ أو عملَ مثل عمله، يقوم الليلَ حتى يصبح، ويصوم النهارَ حتى يمسي، ثم أخذها الحياء، فقالَت: أقِلْني يا أمير المؤمنين، فقال: جزاكِ اللهُ خيرًا، فقد أحسَنتِ الثناء، قد أقَلْتُكِ، فلما ولَّت قال كعبُ بن سُور: يا أمير المؤمنين، لقد أبلغَت إليكَ في الشكوى، فقال: ما اشتكَت؟ قال: زوجَها، قال: عَليَّ بالمرأةِ وزوجِها، فجيء بهما، فقال لكعب: اقْضِ بينهما، قال: أأقضي وأنت شاهد؟ قال: إنك قد فطنتَ ما لم أفطن إليه، قال: فإن الله يقول: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النِّسَاء: ٣] صُم ثلاثةَ أيامٍ وأفطِر عندَها

(٦٣) المرجع السابق ٢/٤٥٣ - ٤٥٥ باختصار.

(٦٤) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة: إبراهيم محمد العلي، ص ٢٠٣، دار القلم – دمشق، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

يومًا، وقُم ثلاثَ ليالٍ وبِت عندَها ليلة، فقال عمر: لَهَذا أعجَبُ إليَّ من الأوَّل، فرحَّله بدابَّةٍ، وبعثه قاضيًا لأهل البصرة (٦٥).

فتأمل فراسة كعب، وكيف جعلته يفهم المسكوت عنه من كلام المرأة، وهذه أمارة ذكاء وعلامة فطنة.

٢- معرفة النجباء من طلبة العلم والاهتمام بهم وتشجيعهم: ومن ذلك ما حكاه القاضي أبو يوسف قائلًا: تُوفي أبي وأنا صغير، فأسلمَتْني أُمِّي إلى قصَّار (٦٦)، فكنتُ أمرُّ على حَلْقَةِ أبي حنيفةَ فأجلسُ فيها، فكانتْ أُمِّي تتبَعُني فتأخذُ بيدي من الحَلْقَة وتذهبُ بي إلى القصَّار ؛ ثم كنتُ أخالفُها في ذلك، وأذهبُ إلى أبي حنيفة، فلما طالَ ذلك عليها قالت لأبي حنيفة: إنَّ هذا صبيٌّ يتيم، ليس له شيءٌ إلَّا ما أطعِمُهُ من مِغْزَلِي، وإنك قد أفسدتَهُ عليّ، فقال لها: ها هو ذا يتعلَّمُ العِلْم، وسيأكلُ الفالوذَجَ بِدُهْنِ الفُسْتُق، فقالتْ له: إنك شيخٌ قد خَرِفت.

قال أبو يوسف: فلمَّا وُلِّيتُ القضاء - وكان أول من ولَّاه القضاءَ الهادي، وهو أولُ مَن لُقِّب "قاضي القضاة"، وكان يُقال له "قاضي قضاة الدنيا"، لأنه كان يَسْتَنيبُ في سائرِ الأقاليمِ التي يحكم فيها الخليفة - قال أبو يوسف: فبينا أنا ذاتَ يومٍ عندَ الرشيد إذْ أُتِي بفالوذَجٍ، فقال لي: كُلْ من هذا، فإنه لا يُصنعُ لنا في كلِّ وقت. فقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالوذَج. قال: فتبسَّمت، فقال: ما لَكَ تتبسَّم؟ فقلت: لا شيء، أبقى اللهُ أميرَ المؤمنين. فقال: لَتُخْبِرَنِّي. فقصصتُ عليه القصَّة، فقال: إن العلمَ ينفعُ ويَرْفَعُ في الدنيا والآخرة. ثم قال: رَحِمَ اللَّه أبا حنيفة، فلقد كان ينظرُ بعينِ عقله ما لا ينظر بعينِ رأسِه، وكان أبو حنيفة يقولُ عن أبي يوسف: إنه أعلمُ أصحابِه (٦٧).

٣- كشف أهل الزيغ والضلال: فقد رُوِيَ عن جُنْدُبِ بن عبدِ اللهِ البَجَلِيِّ أنه أتَى على رَجُلٍ يقرأ القرآنَ فوقف فقال: مَن سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ به، ومَن رَاءَى رَاءَى اللهُ به، فقيل له: كأنك عَرَّضْتَ بهذا الرجل، فقال: إن هذا يقرأُ

(٦٥) كتاب الأذكياء لابن الجوزي، ص ٦٢، مكتبة الغزالي، بدون تاريخ.
(٦٦) القصَّار: المبيِّضُ للثِّياب، وهو الذي يُهَيِّئُ النسيجَ بعد نَسجه بِبَلِّه ودقِّه بالقَصَرَة. المعجم الوسيط ٢/٧٣٩.
(٦٧) البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٦١٦، دار هجر، ط الأولى ١٤١٧هـ. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

عليكَ القرآنَ اليومَ ويخرج غدًا حَرُورِيًّا، فكان رأسَ الحَرُورِيَّة (٦٨)، واسْمُهُ مِرْدَاس. ورُوِيَ عن الحَسَنِ البَصْرِي أنه دَخَلَ عليه عَمْرُو بنُ عُبَيْدٍ فقال: هذا سَيِّدُ فِتْيَانِ البَصْرَةِ إن لم يُحْدِثْ، فكان مِن أمْرِهِ مِن القَدَرِ ما كان، حتى هَجَرَهُ عَامَّةُ إخْوَانِه. ورُوِيَ أنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ ﷺ دَخَلَ عليه قومٌ مِن مِذْحَجٍ، فيهم الأشْتَر، فصَعَّدَ فيه النظرَ وصَوَّبَهُ وقال: أيُّهُم هذا؟ قالوا: مالكُ بنُ الحارث. فقال: ما لَهُ قَاتَلَهُ الله! إنِّي لَأَرَى للمسلمين منه يومًا عصيبًا، فكان منه في الفتنةِ ما كان (٦٩).

المطلب الرابع: الإبداع:

جاء في كتب اللغة: الباء والدال والعين أصلان: أحدهما: ابتداء الشيء وصنعه على غير مثالٍ سابق، وفلانٌ بِدعٌ في هذا الأمر: أوَّلٌ لم يسبقه أحد، والبِدع: الغاية في كل شيء، وذلك إذا كان عالما، أو شجاعًا، أو شريفًا، ويقال: هذا من البدائع: مما بلغ الغاية في بابه، والشيء البديع: المخترع والجديد (٧٠).

ويعرف الإبداع في الاصطلاح بأنه: إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود (٧١).

ومما لا شك فيه أن العلاقة بين الإبداع والذكاء عميقة، فالمبدع مفكر وذكي، وقد أشارت الدراسات إلى أن الإبداع يتزايد مع زيادة الذكاء (٧٢).

---

(٦٨) الحرورية: هم فرقة من الخوارج يطلق عليهم "المحكِّمة الأولى"، انحازوا إلى قرية تسمى حروراء ناحية الكوفة لما خرجوا على عليٍّ ﷺ، ولذلك سُمُّوا بالحرورية. راجع: الملل والنحل للشهرستاني ١/١١٥، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ.

(٦٩) تفسير القرطبي ١٠/٤٤، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

(٧٠) لسان العرب لابن منظور ٨/٦، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ١/٢٠٩، وأساس البلاغة للزمخشري ١/٥٠، والمعجم الوسيط ١/٤٣.

(٧١) الكليات للكفوي، ص ٢٩.

(٧٢) انظر: مهارات التفكير وأساليب التعلم: د. سالم علي الغرايبة، ص ١١٣.

حاجة ميدان الدعوة إلى الإبداع: ولما كان التجديد والتطوير مطلبًا أساسيًّا للنهوض بالدعوة، فكان لا بد من الإبداع الذي يساعدنا على مواكبة العصر، والإبداع لا يعني التنكر للماضي وإهالة التراب عليه، فبالإبداع نبني على الماضي، ونبتكر من أجل الحاضر والمستقبل، وإذا ما تأملنا الثورة التقنية العلمية في عصرنا الحاضر، وفيما واكبها من حاجة ماسة إلى مواصلة البحث والتقدم في جميع المجالات لا سيما الدعوية، تحتم علينا أن نفكر جديًّا في تطوير القدرات الإبداعية لدى الدعاة، منذ المراحل المبكرة في حياتهم، باعتبارها وسيلة لتحقيق الغايات والأهداف الملحَّة، والتغلب على التقليد والجمود.

وللتفكير الإبداعي في ميدان الدعوة إلى الله ﷻ صور وأمثلة كثيرة، أذكر بعضها على النحو التالي:

١- الإبداع في اكتشاف المهارات: فليست مهمة الداعية تلقين العلم فحسب، بل من واجبه أن يكون مربيًا ومعلمًا معًا، وهذا يحتم عليه اكتشاف مهارات من يربيهم، ومعاونتهم على تنميتها، وتوظيف طاقاتهم بحيث يتخصصون في المجال الذي يستطيعون العطاء فيه، ومن ذلك ما حكاه الإمام شمس الدين الذهبي عن شيخه الإمام الحافظ علم الدين البرزالي، يذكر فضله في اكتشاف موهبته فيقول: «وكان هو الذي حبَّبَ إليَّ طلبَ الحَدِيث، فإنه رأى خطِّي فقال: خطُّك يشبه خطَّ المحدِّثين، فأثَّر قولُه فيَّ، وسمعت وتخرّجت به في أشياء» (٧٣)، وكانت هذه الكلمات بمثابة الوقود الذي أشعل حماسة الإمام الذهبي، فملأت سمعته الدنيا لوفرة علمه.

٢- الإبداع في تحفيز المدعوين: جاء في ترجمة إمام أهل مصر في الفقه والحديث الليث بن سعد: «وكان يتخذ لأصحابِهِ الفالوذج، ويعمل فيه الدنانير؛ ليحصل لكل من أكل كثيرًا أكثر مِن صاحبِه» (٧٤)، وهو بذلك يحفزهم على حضور حلقات العلم، لا سيما الفقراء منهم، حتى لا ينشغلوا بالسعي على الرزق عن طلب العلم، وربما أراد أن يقدم لهم شيئًا من الدعم المادي بطريقة لا تجرح مشاعرهم، ويشجعهم على الأكل بوضع الدنانير،

(٧٣) ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام: شمس الدين الذهبي، ص ٤٠، دار ابن الأثير – الكويت، ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. تحقيق: محمد بن ناصر العجمي.

(٧٤) الوافي بالوفيات للصفدي ٣١٢/٢٤، دار إحياء التراث – بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى.

يلاطفهم ويؤانسهم ويكسر الحواجز بذلك، حتى يرفع همهم، ويزيل عنهم الرتابة والملل، فيكونوا أقوى على مواصلة طريق العلم.

٣- الإبداع في ابتكار وسائل جديدة للدعوة: فالداعية رجل ملكت عليه دعوتُه أوقاته وحياته، فهو مهمومٌ بها لا ينفك عن التفكير بشأنها وابتكار الوسائل لتبليغها إلى الناس كافة، وكلما كان الداعية على قدر من الفطنة والذكاء كان أقدر على ابتكار وسائل جديدة وأفكار مبدعة للوصول لتطوير العمل الدعوي والنهوض به، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة وقدوة، فقد جاءه النداء من رب الأرض والسماء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المُدَّثِّر: ١-٢] فقام ثلاثةً وعشرين عامًا يدعو إلى الله دون توقف، ولما ضاقت قريش بالدعوة خرج بنفسه إلى الطائف، ولما رفضه أهل الطائف عرض نفسَه على قبائل العرب في موسم الحج، لعله يجد فيهم من يجيب داعي الله.

وميدان الدعوة في هذه الأيام أحوج ما يكون إلى دعاة مبدعين، لا سيما وأهل الباطل يبدعون في سبيل باطلهم ويقدمونه بألوان جذابة وأشكال متجددة، ولذا فالإبداع الدعوي هو واجب الوقت، لا سيما وقد تعددت وسائل التواصل الاجتماعي وجذبت الملايين من البشر نحوها، الأمر الذي يحتم على دعاة اليوم أن يدخلوا بالدعوة إلى هذه الميادين الجديدة، وأن يبتكروا من الوسائل ما يساعدهم على تقديم المحتوى الدعوي بطريقة تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٤- الإبداع في حل المشكلات والتغلب على العقبات: ذلك أن صفة الذكاء تعين الداعية على الإبداع وحسن التصرف في المواقف الحرجة، وتنمي فيه القدرة على مواجهة المعضلات، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **(بينما امرأتانِ معهما ابْنَاهُمَا، جاء الذِّئْبُ فذهب بابنِ إحدَاهُمَا، فقالت هذه لصاحبتِها: إنما ذَهَبَ بابْنِكِ أنتِ، وقالت الأُخْرَى: إنما ذَهَبَ بابْنِكِ، فتَحَاكَمَتَا إلى داود، فقَضَى به للكُبْرَى، فخَرَجَتَا على سليمان بن داود عليهما السلام فأَخْبَرَتَاهُ، فقال: ائْتُونِي بالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بينكما، فقالت الصُّغْرَى: لا، يَرْحَمُكَ اللهُ، هو ابْنُهَا، فقَضَى به للصُّغْرَى)** [٧٥]، وقولها: **(لا)** معناه: لا تشقُّه، ثم استأنفت فقالت: **(يَرْحَمُكَ اللهُ، هو**

(٧٥) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الأقضية – باب بيان اختلاف المجتهدين ٣/١٣٤٤ ح رقم (١٧٢٠).

ابْنُهَا)، وهكذا استطاع نبيُّ الله سليمان عليه السلام بما آتاه الله من فهم وفطنة أن يحل تلك المعضلة، ومن فوائد الحديث: أن الفطنة والفهم موهبة من الله تعالى لا تتعلق بكبر سنٍّ ولا صغره (٧٦).

وفي السيرة النبوية أن قريشًا قد اجتمعت لتجديد بناء الكعبة، وقد شارك معهم رسول الله ﷺ في نقل الحجارة، وهو يومئذ رجلٌ شاب، فلما بلغوا موضع الحجر الأسود اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، لولا أن أبا أمية بن المغيرة قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك دخل محمد ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، فلما أخبروه الخبرَ قال: **هلمُّوا ثوبًا**، فأتوه به، فوضع الركن فيه بيديه، ثم قال: **لتأخذ كل قبيلة بناحيةٍ من الثوب، ثم ارفعوا جميعًا**، فرفعوه، حتى إذا بلغوا موضعه، وضعه بيده، ثم بنى عليه (٧٧)، وهكذا استطاع رسول الله بما آتاه الله من فطنة وحكمة أن يفض هذا النزاع بفكرة إبداعية، أدت إلى إرضاء جميع الأطراف المتنازعة، واحتواء هذه الأزمة المستعصية، وكان هذا من توفيق الله لرسوله ﷺ وتسديده قبل بعثته.

وقد ظهر هذا التفكير الإبداعي واضحًا في كيفية تخلص خالد بن الوليد رضي الله عنه في غزوة مؤتة من جيش الروم الذي بلغ عدده مائتي ألف مقاتل، بينما كان عدد المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل في هذه المعركة غير المتكافئة، والتي قتل فيها قادة الجيش الإسلامي الثلاثة الذين ولاهم النبي ﷺ، وظهرت قدرة خالد على التفكير الإبداعي، حيث استطاع أن يغير صفوف جيشه ليلًا، ويُحدث بعض الأصوات موهمًا العدوَّ بوصول مدد من المدينة، وبدأ خطة الانسحاب المنظم، والعدو لا يجرؤ على التقدم خوفًا من كمين محتمل، واعتقادًا منهم بأن المسلمين قد وصلهم مدد كبير من المدينة، واستطاع خالد بهذه الطريقة المبتكرة والجديدة أن ينجو بجيش المسلمين من هلاكٍ محقق.

---

(٧٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان ٦٥٠/٨، دار المعرفة – بيروت، ط الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

(٧٧) أخرجه محمد بن إسحاق في "كتاب السير والمغازي"، ص ١٠٨، والبيهقي في "دلائل النبوة"، باب ما جاء في بناءِ الكعبةِ على طريق الاختصار، وما ظهر فيه على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم من الآثار (٥٦/٢).

ومما سبق يتبين لنا أن الداعية لا غنى له عن قدرٍ من الذكاء والفطنة لحل المشكلات، والإبداع لمواجهة المعضلات وتخطي العقبات، لا سيما المشكلات التي لا يمكن حلها بالطرق التقليدية والضوابط المرعية، ولا سبيل إلى التغلب عليها إلا بالأفكار المبدعة، أو ما يسمى بـ "التفكير خارج الصندوق"، والذي يعني القدرة على إنتاج أفكار جديدة ومبتكرة.

المبحث الثالث

بعض تطبيقات الذكاء الدعوي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: النباهة والنجابة في تحصيل العلم والحفظ:

إن مهمة الداعية تعليمية بالأساس، فهو يعلم الناس ما ينفعهم في أمور معاشهم ومعادهم، وإذا لم يكن عنده أثارة من علم أو حصيلة من ثقافة، فكيف يعلم غيرَه وفاقد الشيء لا يعطيه؟! وبالتالي فهو مطالب بأن يعمق ثقافته وينوع مصادره ومعارفه، وهذا يحتاج إلى علم وسعة اطلاع، لا سيما في هذا العصر الذي تتدفق فيه المعلومات، ويسمى بـ "عصر العلم"، فالعلم هو روح الداعية وسر تميزه، «وكلما استبحرت ثقافته، واستفاضت قراءته، غزرت معانيه، وسَمَت أفكاره، وقويت أدلته، وليس بوسعه أن يكون مؤثرًا إلا إذا كان دارسًا لموضوعه، ومثقفًا ثقافة عامة تضفي على قوله جِدَّة، ومن ثم يجب عليه أن يكون ملمًّا بمعارف شتى، وألا يستغني عن الاطلاع الدائم، وإلا تخلف وأكدى وفتر تأثيره، فهو بالتعلم ومجالسة العلماء وبطول التقليب للكتب يجود لفظه ويحسن أدبه»[(٧٨)].

والقراءة التي أتحدث عنها هي القراءة المبصرة والمطالعة الواعية، إذ لا تكفي مجرد المعرفة، بل لا بد من الخبرة وحسن النظر وإعمال الفكر والتأمل فيما يقرأ الداعية، فهو يحلل ويستنتج، حتى يكون متمكنًا عميقًا صاحب فكر وملكة، وذكاء وفطنة، وقدرة على الموازنة وحسن التقدير للأحوال والأمور، وهو ما يطلق عليه "الحكمة" التي يهبها الله لمن يشاء من علماء الإسلام الصادقين ودعاته المخلصين.

جاء في ترجمة زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ: «الإمام الكبير، شيخ المقرئين والفرضيين، مفتي المدينة، وكاتب الوحي»[(٧٩)]، وهي صفات تدل على تفوقه وذكائه ودافعيته التي أهَّلته لتلك الإنجازات العظيمة، وقد لمس فيه النبي

---

(٧٨) انظر: فن الخطابة: د. أحمد محمد الحوفي، ص ١٧، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

(٧٩) سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي ٦٧/٤، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، والفرضي: هو العالم بالفرائض والمواريث.

ﷺ ذكاءً ونباهة، فأمره أن يتعلم اللغات، يقول زيد ﷺ: ذُهِبَ بي إلى النبيِّ ﷺ فأُعْجِبَ بي، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، هذا غلامٌ من بني النجار، معه مما أنزل اللهُ عليكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سورةً، فأعْجَبَ ذلك النبيَّ ﷺ، وقال: **(يا زيدُ، تَعَلَّمْ لي كتابَ يهودَ، فإنِّي واللهِ ما آمَنُ يهودَ على كتابي)** قال زيدٌ: فتَعَلَّمْتُ له كتابَهم، ما مَرَّتْ بي خَمْسَ عَشْرَةَ ليلةً حتى حَذَقْتُهُ وكنتُ أقرأُ له كُتُبَهُم إذا كَتَبُوا إليه، وأُجِيبُ عنه إذا كَتَب [٨٠]، وفي رواية: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: **أتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّة؟** فقلتُ: لا. قال: **فتَعَلَّمْهَا، فإنه يأتِينَا كُتُبٌ**، فتعلمتُها في سَبْعَةَ عَشَرَ يومًا [٨١]، وقال ابن كثير: «وقد كان زيدُ بن ثابت من أشدِّ الناس ذكاءً، تعلم لسانَ يهود وكتابَهم في خمسةَ عشرَ يومًا. قال أبو الحسن بن البراء: تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانيةَ عشرَ يوما، وتعلم الحبشية والرومية والقبطية من خُدَّامِ رسول الله ﷺ» [٨٢].

وهكذا اكتشف النبي ﷺ ذكاء زيد بن ثابت ﷺ من خلال الاختبارات التي تمثلت في استثارة القدرات العقلية، وهو ما يعرف اليوم بـ "اختبارات الذكاء"، الأمر الذي يدل على أن المسلمين قد اهتموا بالذكاء واختبارات الذكاء كثيرًا، وذلك ينبع من اهتمام الإسلام بالعقل البشري الذي يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، فالذكاء في نظرهم قدرة عقلية، وهذا ما يماثل أحدث مفاهيم الذكاء العصرية [٨٣].

وكان الإمام الشافعي آيةً من آيات الله في قوة وسرعة الحفظ، فكان يطالع بطريقة "القراءة التصويرية"، وذلك أنه كان يملك القدرة على التقاط العديد من الكلمات بمجرد قراءتها، حتى إنه كان يقرأ صفحة ويقوم بتغطية الصفحة المقابلة لها بكُمِّه؛ لأنه لو وقع نظره على كلمة منها لحفظها قبل أن ينتهي من السطور التي يقوم بقراءتها، وجلس

---

(٨٠) رواه أحمد في مسنده ٣٥/٤٩٠ ح رقم (٢١٦١٨)، والبخاري في "التاريخ الكبير" ٣/٣٨٠.

(٨١) رواه ابن حبان في صحيحه ٤/٣٠٥ ح رقم (٣٤٧٢)، والحاكم في "المستدرك" (٣/٤٧٧)، وقال: صحيحٌ، إن كان ثابتُ بن عُبَيْدٍ سمعه من زيدِ بن ثابت، ولم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

(٨٢) البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٧٠.

(٨٣) انظر: الذكاء وتنميته لدى أطفالنا: د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، ص ٢٥٦، الدار العربية للكتاب – القاهرة، ط الأولى ١٩٩٥م.

يومًا بين يدي مالك، وقرأ عليه، فأعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى اللهَ قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية (٨٤).

المطلب الثاني: حضور البديهة وحسن التصرف في المواقف الطارئة:

البديهة: أول كل شيء وما يَفجأ منه، يقال: بادَهَه به مبادهةً: فاجأه به، ويُقصد بحضور البديهة: سرعة الخاطر وسداد الرأي عند المفاجأة، والسريع البديهة: الحاضر الجواب (٨٥).

وحضور البديهة صفة مهمة تدل على ذكاء الداعية، فهي تنقذه من المواقف المباغتة، ذلك أن الداعية إذا قام خطيبًا قد يفاجأ أثناء خطبته بما لم يتوقع، ومن ذلك: أن يجد من المستمعين إعراضًا، وقد يقاطعه أحدهم بقصد إحراجه، فيوجه إليه كلمة نابية، أو يعترض على رأيه الذي يذكره، وقد يستوقفه أحد المستمعين طالبًا الإجابة عن سؤال، وسواء كان الأمر الطارئ إعراضًا أو مقاطعةً أو اعتراضًا أو سؤالًا، ينبغي للداعية «أن يكون حاضر الذهن، سريع البديهة، لا يتحبَّس في جواب، ولا يتلعثم في دفع اعتراض، ولقد يكون سداد الخطيب في الرد على مُقاطع أو مُعارض أقوى تأثيرًا في نفوس السامعين من الخطبة كلها، على أنه إن لم تسعفه بديهته بجملة قوية مؤثرة مسكتة، فالخير له أن لا يرد؛ لأن سكوته حينئذ خير من كلامه، وإذا كان الباعث على المقاطعة والمعارضة إنما هو التهريج والتعويق والتشفي كان السكوت ترفعًا وقلة مبالاة» (٨٦)، والداعية في هذه الحالات إما أن يحسن الجواب، أو يحسن التخلص، لأنه إن عجز عن كليهما أصابه الإرباك، وانقطع حبل أفكاره، وربما تطور الأمر، فيسود الهرج والمرج وينصرف الناس عنه.

وقف الإمام ابن الجوزي يخطب في مجلس الوعظ، فقام إليه رجلٌ بغيض، فقال: يا سيدي، نريد كلمة ننقلها عنك، أيهما أفضل أبو بكر أو عليّ؟ فقال: اجلس، ثم قام فأعاد مقالته، فأقعده، ثم قام، فقال: اقعد، فأنت أفضل

(٨٤) الداء والدواء لابن القيم، ص ٥٢، دار المعرفة، المغرب، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٨٥) المعجم الوسيط ١/٣١٤.

(٨٦) فن الخطابة: د. أحمد الحوفي، ص ٢٢.

من كل أحد! وقول ابن الجوزي للرجل: (أنت أفضل) من الفضول. وسأله آخَر أيام ظهور الشيعة، فقال: أفضلهما من كانت بنتُه تحتَه، وهذه عبارة محتملة ترضي الفريقين (٨٧)، فقالت السنة: هو أبو بكر ﷺ؛ لأن ابنته عائشة ' تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو عليٌّ ﷺ؛ لأن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ.

وذكروا أن زعيمًا اشتُهر بالقدرة الخطابية، وذات مرة فاجأه أحد السامعين أثناء المحاضرة بقوله: هذا غير صحيح، وفطن الخطيب إلى ما يريده المعترض، فاكتفى بقوله: هذا رأيك، واستمر دون أن ينقطع.

وفي زمن أبي جعفر المنصور، أراد والي الكوفة أن يؤذيَ أبا حنيفة، فقال: والله لأسألنَّه في مسألة تكون سببًا لقتله، ثم أحضره على رؤوس الناس فقال: إن أميرَ المؤمنين يأمرني بضرب الأعناق، وسفك الدماء، وأخذ الأموال، وانتهاك المحارم، أفأطيعُه في ذلك أم أعصيه؟ فقال له أبو حنيفة: ما يأمرك به أمير المؤمنين طاعة لله أم معصية؟ قال: لا، بل طاعة لله، فقال له أبو حنيفة: أطع أميرَ المؤمنين – أكرمه الله – في كل ما كان طاعة لله ولا تعصه، وقال لأصحابه بعد أن خرج معهم من الباب: أراد الرجلُ أن يرهقَنا فأرهقناه، فإذا أتتكم معضلة فاجعلوا جوابَها منها (٨٨)، يعلمهم بذلك حسن التخلص من المواقف المحرجة، ويغرس فيهم مهارة التعامل مع هذه الشريحة من الناس، الذين لا همَّ لهم سوى إحراج الدعاة وإسكاتهم؛ حسدًا من عند أنفسهم وانتصارًا لباطلهم.

والمواقف في ذلك كثيرة، وما لم يكن الداعية ذا فطنة وذكاء فلن يوفق في مثل هذه المواقف، لا سيما وهو يتعامل مع شرائح مختلفة وفئات شتى من الناس، ويواجه من هو أعلم منه، ومن هو مثله ومن هو دونه، ويواجه من يحبه ويجلُّه ويكرمه، ويواجه من يكرهه ويحسده، ولذا ينبغي له أن يكون قويَّ الملاحظة، وأن يكون حديدَ البصر ذا نظرة ثاقبة فيمن حوله وعلى أرض الواقع الذي يعيش فيه، وأن يكون مستنيرَ البصيرة يرى بعيني فؤاده ما تسرُّه النفوس وتكنُّه الصدور، ويقدر لكل موقف قدرَه.

(٨٧) سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي ١٥/٤٥٨.

(٨٨) أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري، ص ٧١، عالم الكتب – بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

المطلب الثالث: التمكن والنبوغ في الحوار والمناظرة:

فالداعية حتما سيلجأ في دعوته إلى الحوار والمجادلة، وذلك إذا لم تُجْدِ الحكمة ولم تنفع الموعظة الحسنة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحل: ١٢٥] أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيُجادَل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا ونقلًا، ومن ذلك: الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها [٨٩]، وهذا يحتاج من الداعية إلى ذكاء العقل وضبط النفس، حتى تحقق المحاورة الهدف المرجو منها، وبيان ذلك أن الداعية أثناء المجادلة ينبغي ((أن يكون كيسًا فطنًا، ذا بديهة سريعة وتصرف حسن، يجيد التخلص من المآزق، متفرسًا في خصمه يتنبأ بما يكنُّه من شبهات أو أباطيل، ويتوسم مبلغ عقله وعلمه، وقدره ومنزلته، فبذلك يمكنه أن يواجه المعاندين من الخصوم ومن يجيد المراوغة منهم، كما أنه يستطيع أن يقتل الفكرة الباطلة في مهدها، ويقضي على الشُّبَه قبل ذكرها، ولعل مما يمكن أن يستدل به في نجاح مثل هذا الأسلوب، ومواجهة الخصم بما سيقول من شبهات، وبالتالي دحضها والرد عليها قبل أن تشيع أو تنتشر: ما جاء في الرد على اليهود والمنافقين وإبطال دعواهم، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾ [البَقَرَة: ١٤٢] وأحيانا قد يتعلق نجاح المحاور أو فشله بصدق حدسه، وحسن تنبؤاته وسعة أفقه وعمق نظرته، خاصة إذا واجه خصمًا يحسن هذه الأمور ويجيد التلاعب والمراوغة)) [٩٠].

(٨٩) تفسير السعدي، ص ٤٥٢ باختصار.

(٩٠) الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: د. يحي بن محمد زمزمي، ص ٤٩٠،٤٩١ باختصار، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، ورمادي للنشر – الدمام، ط الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

وللمناظرة أهمية كبرى في ميدان الدعوة الإسلامية، ففيها يواجه الداعية أعداء الإسلام وخصوم الدعوة، ويستعين بالله على إبطال كيدهم، وفضح زيفهم، ولعل الله ﷻ يهدي بذلك خلقًا كثيرًا ممن شاركوا في المناظرة أو شاهدوها أو استمعوا إليها، ويشهد لذلك مناظرة عبد الله بن عباس ﷺ للحروريَّة من الخوارج، فقد اجتمعوا في دارٍ وهُم ستة آلاف، فأتاهم وناظرهم، يقول ﷺ: فرجع من القوم ألفان، وقُتل سائرُهم على ضلالة [٩١]، وهذا – بلا شك – مكسب دعوي كبير، فقد كانت المناظرة سببًا في رجوع ألفَيْن منهم، وإقامة الحجة على سائرهم.

ومن النماذج التي تدل على بداهة المحاور وحسن تصرفه وذكائه وفطنته: ما احتاط به النبيُّ ﷺ وصاحبه أثناء الهجرة في الكلام مع من يقابلهم في الطريق، يقول أنسُ بنُ مالك ﷺ: أقبلَ نبيُّ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ وهو مُرْدِفٌ أبا بكرٍ، وأبو بكرٍ شيخٌ يُعْرَف، ونبيُّ اللهِ ﷺ شابٌّ لا يُعْرَف، قال: فيلقى الرجلُ أبا بكرٍ فيقول: يا أبا بكرٍ، مَن هذا الرجلُ الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجلُ يَهْدِيني السبيل. قال: فيحسِبُ الحاسِبُ أنه إنما يعني الطريقَ، وإنما يعني سبيلَ الخير [٩٢].

ومما ذكره الخطيب البغدادي: أن بعض اليهود أظهر كتابًا ادَّعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أن خطَّ عليٍّ ﷺ فيه، وحُمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء، فعرضه على الخطيب، فتأمله وقال: هذا مُزوَّر، قيل: من أين قلت؟ قال: فيه شهادة معاوية ﷺ وهو أسلم عام الفتح، وفتحت خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ ﷺ وهو قد مات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين، فاستحسن ذلك منه [٩٣]، وهذا من البداهة وسرعة استحضار الجواب.

ومما ذكرته كتب التاريخ عن فتنة خلق القرآن وكيف انتهت، يقول تاج الدين السبكي: وكان من الأسباب في رفع الفتنة: أن الخليفة الواثق أُتِي بشيخ مُقَيَّد، فقال له ابنُ أبي دُؤاد (أحد زعماء فتنة خلق القرآن): يا شيخ، ما تقول في القرآن، أمخلوقٌ هُوَ؟ فقال له الشيخ: لم تنصفني المسألة، أنا أسألك قبل الجواب: هذا الذي تقوله يا ابن

(٩١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" ١٥٣/٢، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٩٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة – باب هجرة النبي ﷺ وأصحابِهِ إلى المدينة ١٤٢٣/٣ ح رقم (٣٦٩٩).

(٩٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤٢٣/١٣.

أبي دؤاد من خلق القرآن شيءٌ علِمَه رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ ﷺ أو جهلوه؟ فقال: بل علموه، قال: فهل دعوا إليه الناس كما دعوتَهم أنت أو سكتوا؟ قال: بل سكتوا، قال: فهلّا وسِعَكَ ما وسِعَهم من السكوت؟! فسكت ابن أبي دؤاد، وأُعجِب الواثق بكلام الرجل وحُسن منطقه، وأمر بإطلاق سبيله، وقام الواثق من مجلسه وهو على ما حكي يقول: هلا وسِعَك ما وسِعَهم، يكرر هذه الكلمة، وكان ذلك من الأسباب في خمود الفتنة [٩٤]، وهذا من فطنة الرجل وحكمته في إنهاء الفتنة والقضاء عليها.

المطلب الرابع: ضبط الفتوى وتسديدها في النوازل:

لا تزال منزلة الدعاة ومكانتهم كبيرة في قلوب الناس، ولا يزال أثرهم ملموسًا في واقع الناس، فهم الرُّواد الذين يعظون الناس ويرشدونهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وإليهم يرجع الناس فيما استشكل عليهم فهمه من أمور الدين أو معرفة حكمه من أحكام الشريعة، الأمر الذي يجعلهم مقصد العامة والخاصة في الإفتاء، فالفتوى هي الرياسة الحقيقية، وهو ما أشار إليه ابن حجر في شرح حديث: (**إن اللهَ لا يَقْبِضُ العلمَ انتزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن العبادِ، ولكن يَقْبِضُ العلمَ بقَبْضِ العلماءِ، حتى إذا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتخذَ الناسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلُوا، فأفْتَوْا بغير عِلْمٍ، فضَلُّوا وأضَلُّوا**) [٩٥]، يقول ابن حجر: «وفي هذا الحديث: الحث على حفظ العلم، والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية، وذمّ من يُقدم عليها بغير علم» [٩٦].

وحتى يكون الداعية مؤهلًا للفتوى، فيلزمه بجانب العلم والورع والتقوى أن يكون فطنًا ذكيًّا، يخالط الناس ويعرف أحوال المستفتِين ويدرك خفايا أمورهم حتى يستطيع أن يفتيهم بما يناسب ذلك، وعليه لا يصلح للإفتاء إلا

(٩٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٥٥، دار هجر، ط الثانية ١٤١٣هـ. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو.

(٩٥) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم – باب كيف يقبض العلم ١/٥٠ ح رقم (١٠٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل، والفتن في آخر الزمان ٨/٦٠ ح رقم (٢٦٧٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ.

(٩٦) فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ١/١٩٥، المكتبة السلفية – مصر، ط الأولى ١٣٨٠ – ١٣٩٠هـ. رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب.

من تأهل له بالعلم والخبرة والتجربة، وهو قول ابن مسعود ﷺ: «لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما أخَذوا العِلْمَ عن أكابِرِهِم» يُريد: لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما كان علماؤُهم المشايخَ، ولم يكن علماؤُهم الأحداثَ؛ لأنّ الشيخَ قد زالت عنه مَيْعَةُ الشَّباب وحِدَّته وعَجَلَتُهُ وسَفَهُهُ، واستصحبَ التَّجْرِبَةَ والخِبْرَةَ، فلا تدخلُ عليه في علْمِهِ الشُّبْهَةُ، ولا يَغْلِبُ عليه الهَوَى، ولا يَميلُ بِهِ الطَّمَعُ، ولا يَسْتَزِلُّهُ الشَّيْطانُ اسْتِزْلالَ الحَدَث، ومع السِّنِّ الوَقارُ والجَلالَةُ والهَيْبَة، والحَدَثُ قد تَدْخُلُ عليه هذه الأمورُ التي أُمِنَتْ على الشيخ، فإذا دَخَلَتْ عليه، وأفتَى هَلَكَ، وأهْلَكَ (٩٧).

ومن فطنة الداعية: فهم الواقع والنص الشرعي معًا، فهو مما يساعد على تسديد الفتاوى في النوازل، «ولا شك أن ساحة الدعوة الإسلامية ملأى بنوازل عامة، وقد اضطربت بشأنها الفتوى كثيرًا، ويرجع هذا الاضطراب في الغالب إلى تفاوت في توصيف الواقع وتكييفه، وقد أشار أهل العلم سلفًا وخلفًا إلى أهمية فهم واقع المسألة، مع فهم النصوص الشرعية المتعلقة بها، وفقه تنزيل النصوص على الواقع، وبهذين الركنين يتم تسديد الفتوى، وتنضبط الأحكام، فلا يبقى مجال لطاعن أو مخالف، ولا تزال فتاوى كثير من علمائنا المتقدمين -رحمهم الله- حية وفعالة في عالم اليوم، وما ذاك إلا لأنها جمعت بين ركني الفتوى» (٩٨).

ولابن القيم كلام نفيس حول هذه النقطة، يقول -رحمه الله-: «ولا يتمكَّنُ المفتِي ولا الحاكمُ من الفتوى والحُكْمِ بالحقّ إلا بنوعينِ من الفهم: أحدهما: فهمُ الواقعِ والفقهِ فيه واستنباطُ علمِ حقيقةِ ما وقع بالقرائن والأمارات والعلاماتِ حتى يُحِيطَ به علمًا. والنوع الثاني: فهمُ الواجبِ في الواقعِ، وهو فهمُ حكم اللهِ الذي حَكَمَ به في كتابه أو على لسانِ قوله في هذا الواقعِ، ثم يُطَبِّقُ أحدُهُما على الآخَر؛ فمَن بذل جَهْدَهُ واستفرغَ وُسْعَهُ في ذلك لم يَعْدَم أجريْنِ أو أجرًا؛ فالعالِمُ مَن يَتَوَصَّلُ بمعرفةِ الواقعِ وَالتفقهِ فيه إلى معرفةِ حُكْمِ اللهِ ورسولِه» (٩٩).

---

(٩٧) المسائل والأجوبة لابن قتيبة الدينوري، ص ٥٩، دار ابن كثير، ط الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م. تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة.

(٩٨) معالم في أصول الدعوة: د. محمد يسري، ص ٦٤، ٦٥.

(٩٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٦٩/١، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم.

المطلب الخامس: كشف مخططات الأعداء والقدرة على مواجهتها:

ولئن كان الذكاء والفطنة واليقظة ونحوها أمورًا مطلوبة في التعامل مع عموم الناس، فهي أوجب في التعامل مع الأعداء والخصوم، الذين يواصلون الليل بالنهار في المكر بالمسلمين والتخطيط لإيذائهم وإيقاع الشر بهم، ولذلك أمر اللهُ عبادَه المؤمنين بأخذ الحيطة والحذر فقال: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النِّسَاء: ١٠٢] أي: كونوا متيقظين، وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو في كل الأحوال [١٠٠]، وفي الحديث: (**لا يُلْدَغُ المؤمنُ مِن جُحْرٍ وَاحِدٍ مرتَيْن**) [١٠١] «ومعناهُ: المؤمنُ الممدوح، وهو الكيس الحازم الذى لا يُستغفَل فيُخدَع مرة بعد أخرى ولا يفطن لِذَلِك» [١٠٢]، وهي كلمةٌ قالها رسول الله ﷺ لأبي عزة الشاعر، واسمه عمرو بن عبد الله بن عمر الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسَرَه يومَ بدر، فطلب العفوَ من النبي ﷺ على ألا يقاتله، فمَنَّ عليه وحذَّره أن يعود، فلما كان يومَ أحد خرج فيمن تألَّب على رسول الله ﷺ، فأخذه رسولُ الله ولم يأسر يومئذ سواه، فقال: يا محمد، مُنَّ عليَّ، فإني حُملت على الخروج عليك، فقال رسول الله ﷺ: (**لا يُلْدَغُ المؤمنُ مِن جُحْرٍ وَاحِدٍ مرتَيْن، لا تأتي مكة تمسح عارِضَيْك** [يقصد لحيتَه على جانبي الوجه] **وتقول: خدعتُ محمدًا مرتين**)، ثم أمر عاصمَ بن ثابت فضرب عنقه [١٠٣].

وبعد هزيمة المسلمين في أحد، بات الرسول ﷺ يفكر في الموقف، فقد كان يخاف أن المشركين إن فكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئًا من النصر والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال، فلا بد من أن يندموا على ذلك، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينة مرة ثانية، فصمم على أن يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي، ونادى في الناس، وندبهم إلى المسير إلى لقاء العدو، وذلك صباح الغد من معركة أحد، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد،

---

(١٠٠) تفسير القرطبي ٥/٣٧٣.

(١٠١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأدب- باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٥/٢٢٧١ ح رقم (٥٧٨٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١٠٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ١٨/١٢٥، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

(١٠٣) أخرجه ابن هشام في سيرته ٢/١٠٤، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٩/١١١ ح رقم (١٨٠٢٩).

والخوف المزيد، وقالوا: سمعا وطاعة، وسار رسول الله ﷺ والمسلمون معه، حتى بلغوا حمراءَ الأسد، على بعد ثمانية أميال من المدينة فعسكروا هناك.

ولم يكن ما خافه رسول الله ﷺ من تفكير المشركين في العودة إلى المدينة إلا حقًّا، فإنهم لما نزلوا بالروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة تلاوموا فيما بينهم، وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا، أصبتم شوكتهم وحدَّهم، ثم تركتموهم، وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم، فارجعوا حتى نستأصل شأفتهم، وأجمع جيش مكة على المسير نحو المدينة، فلما بلغهم خروج النبي ﷺ في أصحابه، انهارت عزائمُهم، وأخذهم الفزع والرعب، ورأوا العافيةَ في مواصلة الانسحاب والرجوع إلى مكة، وأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد أيامًا، ثم رجع إلى المدينة (١٠٤).

وهو تصرف من النبي ﷺ يدل على يقظة وفطنة وذكاء عسكري منقطع النظير، وفهم للعدو وقراءة واعية لمخططاته، وتوقع لما يفكر فيه، ولذلك كانت تلك الخطوة الاستباقية من النبي ﷺ لإرباك العدو، وحمله على الإسراع إلى مكة حفاظًا على النصر الذي أحرزوه.

ولا تعارض بين يقظة المؤمن ودهائه وبين سلامة قلبه، يقول ابن القيم: «والفرق بين سلامة القلب والبلَه والتغفُّل: أن سلامةَ القلب تكون من إرادة الشرِّ بعد معرفتِه، فيسلَم قلبُه من إرادته وقصدِه، لا من معرفته والعلمِ به. وهذا بخلاف البلَه والغفلة، فإنها جهلٌ وقلّة معرفة، وهذا لا يُحمَد إذ هو نقص، والكمالُ أن يكون القلب عارفًا بتفاصيل الشرِّ، سليمًا من إرادته. قال عمر بن الخطاب ﷺ: «لستُ بخَبٍّ ولا يخدعني الخَبُّ»، وكان عمر أعقلَ من أن يُخدَع، وأورعَ من أن يَخدع» (١٠٥)، والخَبّ: هو المخادع الخبيث.

والحاصل: أن المؤمن ينبغي أن يكون كيّسًا فطنًا، يدرك ما يدور حوله من وقائع وأحداث، وأن يكون حذرًا بحيث لا يخدع من جهة واحدة أكثر من مرة، فالسذاجة المفرطة، وتكرار الوقوع في الخطأ والتعرض للخديعة أمرٌ مشين ومنقصة لا تليق بالمؤمن، فضلًا عن الداعية.

(١٠٤) انظر: الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، ص ٢٥٨، ٢٥٩، دار الفكر – بيروت، طبعة ٢٠٠٢م.

(١٠٥) الروح لابن القيم، ص ٢٤٣، ٢٤٤، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

الخاتمة

أولا: أهم نتائج البحث:

١. يقصد بالذكاء الدعوي: فطنة تعين الداعية على دقة الملاحظة، وسداد الفكر، وحسن التصرف، ومعالجة معضلات المشاكل بحكمة وبُعد نظر، والانتباه لأمور قد تغيب عن الآخرين.

٢. لا غنى للداعية عن قدرٍ معقولٍ من الذكاء الدعوي، ولا بأس أن يتفاوت الدعاة في ذكائهم، فقد خلق الله الخلق متفاوتين في القدرات العقلية.

٣. الذكاء الدعوي يعين الداعية على فهم الرسالة الدعوية، ويساعده على التواصل الفعال مع الناس، ويكسبه القدرة على إقناع المدعوين والتأثير فيهم، فضلا عن كونه يجنب الدعوة ويلات الحُمق والبلادة.

٤. يعتقد البعض أن الذكاء فطري مجرد، ولا مجال لاكتسابه، وهذا كلامٌ غير مسلَّم؛ لأن التسليم به يلغي دور التربية والتعليم وأثرهما في تكوين الإنسان وتنشئته، وبالتالي فالذكاء منه ما هو فطري، ومنه ما هو مكتسب.

٥. ثمة وسائل كثيرة تعين على تحصيل الذكاء الدعوي وتنميته، منها: الإعداد الجيد للدعاة، وبث روح التفكير وإعمال العقل، والعلم والخبرة، ومصاحبة الحكماء والتتلمذ على أيدي الدعاة الفطناء.

٦. إذا وجد الذكاء الدعوي وجدت معه آثاره الطيبة وثمراته اليانعة، ومنها: الحكمة، والبصيرة النافذة، والفِراسة الصادقة، والإبداع.

٧. تتجلى تطبيقات الذكاء الدعوي في مجالات عدة، منها: النباهة والنجابة في تحصيل العلم والحفظ، وحضور البديهة وحسن التصرف في المواقف الطارئة، والتمكن والنبوغ في الحوار والمناظرة، وضبط الفتوى وتسديدها في النوازل، وكشف مخططات الأعداء والقدرة على مواجهتها.

ثانيا: التوصيات:

أولًا: أوصي القائمين على أمر الدعوة والعاملين في مؤسساتها في بلادنا العربية والإسلامية بإعطاء مزيد من الاهتمام للإعداد المبكر للدعاة، والعمل على تنمية مواهبهم وصقل قدراتهم، وتقريب المتفوقين والنجباء وتشجيعهم، ليكونوا بعد ذلك على أعلى مستويات الحكمة والفطنة والذكاء الدعوي.

ثانيًا: وأوصي الباحثين بالكتابة في موضوعي: (أثر الذكاء في التخطيط الدعوي)، و(الذكاء الدعوي وأثره في استشراف المستقبل)، فهي موضوعات ذات علاقة بالذكاء الدعوي، وقد حالت محدودية البحث دون تناولهما.

ثانيًا: كما أوصي الباحثين بتناول موضوعات: (البصيرة)، و(الفراسة)، و(التفكير الإبداعي) بشيءٍ من التفصيل في دراسات مستقلة، فقد تناولها الباحث بشكل موجز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وعلومه:

١- تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير، دار طيبة – الرياض، ط الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. تحقيق: سامي بن محمد السلامة.

٢- تفسير المراغي، دار مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ط الأولى ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٤- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله القرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.

٥- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، دار القلم، والدار الشامية – دمشق بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ. تحقيق: صفوان عدنان الداودي.

٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد – الهند، ط الأولى، (١٣٨٩ – ١٤٠٤هـ) (١٩٦٩- ١٩٨٤م).

ثانيًا: السنة النبوية وعلومها:

٧- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) للخطابي، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. تحقيق: د. محمد بن سعد آل سعود.

٨- الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة، دار الوطن، ط ١٤١٧هـ. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد.

٩- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، دار الوفاء – مصر، ط الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. تحقيق د. يحي إسماعيل.

١٠- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن، دار النوادر - دمشق، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.

١١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان، دار المعرفة - بيروت، ط الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٢- سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، ط الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي.

١٣- سنن الترمذي، دار الرسالة العالمية، ط الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون.

١٤- السنن الكبرى للبيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الثالثة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. تحقيق: المحقق: محمد عبد القادر عطا.

١٥- شرح صحيح البخاري لابن بطال، مكتبة الرشد – السعودية، ط الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

١٦- صحيح ابن حبان، دار ابن حزم - بيروت، ط الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م. تحقيق: محمد علي سونمز، وخالص آي دمير.

١٧- صحيح البخاري، دار ابن كثير، ودار اليمامة – دمشق، ط الخامسة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١٨- صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، طبعة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٩- فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية – مصر، ط الأولى ١٣٨٠هـ/ ١٣٩٠هـ. عناية: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.

٢٠- المسائل والأجوبة لابن قتيبة الدينوري، دار ابن كثير، ط الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م. تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة.

٢١- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٢٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون.

٢٣- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، دار المغني - السعودية، ط الأولى، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني.

٢٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ

ثالثًا: السيرة النبوية والتاريخ:

٢٥- البداية والنهاية لابن كثير، دار هجر، ط الأولى ١٤١٧هـ. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٢٦- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، بدون تاريخ.

٢٧- دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه: د عبد المعطي قلعجي.

٢٨- الرحيق المختوم: صفي الرحمن المباركفوري، دار الفكر – بيروت، طبعة ٢٠٠٢م.

٢٩- السيرة النبوية لابن هشام، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الثانية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م. تحقيق: تحقيق: مصطفى السقا، وآخران.

٣٠- السير والمغازي: محمد بن إسحاق، دار الفكر - بيروت، ط الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. تحقيق: سهيل زكار.

رابعًا: اللغة والأدب والمعاجم:

٣١- أساس البلاغة للزمخشري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. تحقيق: محمد باسل عيون السود.

٣٢- أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، مطبعة النعمان، العراق، ط الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. تحقيق: شاكر هادي شكر.

٣٣- التعريفات: الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٤- ديوان المعاني: أبو هلال العسكري، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

٣٥- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد أعلى التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط الأولى ١٩٩٦م، تحقيق: د. علي دحروج، وترجمة: د. عبد الله الخالدي.

٣٦- الكليات للكفوي، مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ. تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري.

٣٧- لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

٣٨- المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين الأبشيهي، عالم الكتب – بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ. تحقيق: سعيد محمد اللحام.

٣٩- معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٠- المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط الثانية [كُتِبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م]، وصورتْها: دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت.

٤١- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الثانية (١٣٨٩ - ١٣٩٢هـ) (١٩٦٩ - ١٩٧٢م) وصورتها: دار الجيل، ودار الفكر - بيروت. تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون.

٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.

خامسًا: التراجم والطبقات:

٤٣- ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام: شمس الدين الذهبي، دار ابن الأثير – الكويت، ط الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م. تحقيق: محمد بن ناصر العجمي.

٤٤- أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري، عالم الكتب – بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٥- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، دار الحديث – القاهرة، طبعة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. خرج أحاديثه واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي.

٤٦- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، دار هجر، ط الثانية ١٤١٣هـ. تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو.

٤٧- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٤٨- الوافي بالوفيات للصفدي، دار إحياء التراث – بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى.

سادسًا: كتب الدعوة والخطابة:

٤٩- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية: د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة - الرياض، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥٠- الدعوة الإسلامية (أصولها، وسائلها، أساليبها) في القرآن الكريم: د. أحمد أحمد غلوش، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ.

٥١- الدعوة إلى الله تعالى، خصائصها، مقوماتها، مناهجها، د. أبو المجد سيد نوفل، ط ١٩٧٧م.

٥٢- الصفات اللازمة للدعاة إلى الله: لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة – الكويت، ص ١٦، ط الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٣- فن الخطابة: د. أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

٥٤- معالم في أصول الدعوة: د. محمد يسري، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

سابعًا: بقية المراجع:

٥٥- أبجديات البحث في العلوم الشرعية: د. فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، المغرب، ط الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٦- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ.

٥٧- الأخلاق الإسلامية وأسسها: د. عبدالرحمن الميداني، دار القلم – دمشق، ط الثالثة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٥٨- الأذكياء لابن الجوزي، مكتبة الغزالي، بدون تاريخ.

٥٩- إعانة الطالبين على حَلّ ألفاظ فتح المعين: البكري الدمياطي، دار الفكر، ط الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم.

٦١- الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: د. يحيى بن محمد زمزمي، دار التربية والتراث – مكة المكرمة، ورمادي للنشر – الدمام، ط الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٦٢- الداء والدواء لابن القيم، دار المعرفة، المغرب، ط الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٣- الذكاء الاجتماعي: كارل ألبريخت، مكتبة جرير، ط الأولى ٢٠٠٨م.

٦٤- الذكاء وتنميته لدى أطفالنا: د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، الدار العربية للكتاب – القاهرة، ط الأولى ١٩٩٥م.

٦٥- الروح لابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

٦٦- شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رجل الإصلاح والدعوة: إبراهيم محمد العلي، دار القلم – دمشق، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦٧- طرق البحث في الدراسات الإسلامية: د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس – بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٦٨- علم النفس التربوي: د. فادية كامل حمام، دار الزهراء – الرياض، طبعة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٩- فراسة المؤمن: إبراهيم الحازمي، دار الشريف، ط الخامسة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧٠- مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

٧١- الملل والنحل للشهرستاني، مؤسسة الحلبي، بدون تاريخ.

٧٢- مهارات التفكير وأساليب التعلم: د. سالم علي الغرايبة، ص ٤٧، دار الزهراء – الرياض، ط الثانية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٧٣- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: مجموعة من المؤلفين (بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي)، دار الوسيلة – جدة، ط الرابعة، بدون تاريخ.

٧٤- نظرية الذكاءات المتعددة: فهد بن عبدالعزيز الحميدة، ومساعد بن عبدالله المحارب، بدون دار نشر، وبدون تاريخ.